الفصل الثاني

الجمال في أدب الرافعي

***المبحث الأول:مفهوم الجمال الحسي عند الرافعي***

***المطلب الأول : ( جمال المرأة الحسي ) .***

***المطلب الثاني : ( جمال الطبيعة والكون ) .***

***المبحث الثاني: الجمال الروحي في أدب الرافعي.***

***المطلب الأول: ( الحب والجمال ) .***

***المطلب الثاني : ( الجمال والمجتمع ) .***

***المطلب الثالث: ( الروح والطبيعة ) .***

***المبحث الأول***

***الجمال الحسي عند الرافعي***

***المطلب الأول:جمال المرأة الحسي:***

أحبَّ الرافعي الجمال وعشقه، وكان له بصمةٌ واضحةٌ للجمال من خلال فهمه الفلسفي الواسع، الذي ظهر بشكل واضح في مؤلفاته مثل "حديث القمر" و "رسائل الأحزان" و "السحاب الأحمر" و "أوراق الورد"، وبعض مقالاته في "وحي القلم"([[1]](#footnote-2)). وزيادة على ذلك ما كتبه في بعض قصائده الشعرية التي تضمنت مفهوم الجمال، وكانت في غالبها ذات طابعٍ إسلامي([[2]](#footnote-3)).

وندرك فهمه للجمال من خلال قوله: ((ورأيتُ وأنا في نفسي أنَّ كُلَّ ما خلقَ اللهُ فيَّ جمالٌ في جمال))([[3]](#footnote-4)).

لقد كانت نشأة الرافعي دينية وفي أسرة معروفة، ومن نسب معروف([[4]](#footnote-5))، كما يؤكد لنا ذلك الدكتور مصطفى نعمان البدري، فكان لهذا أثر كبير فيما آل إليه من بعد، إذ تغلغلت آداب تلك النشأة في عروقه، وملكت عليه جوانب حسه ووجدانه، وانطبعت صورها في ذهنه لتظهر بعد ذلك أصداء يقظته في فنه وشعره، وأدبه، ولتنتظم بعد ذلك كُلّهِ في كلمته وفلسفته([[5]](#footnote-6)).

ثم وجدنا الرافعي يحدثنا عن طفولته في "قرآن الفجر"، فيقول: ((كُنت في العاشرةِ من سني، وقد جمعتُ القرآن كله حفظاً، وجوَّدَته بأحكام القراءة))([[6]](#footnote-7)).

وإنَّ من روافد فهمه الجمال اتصاله بالإمام محمد عبده، إذ كان له أثر واضح فيه، وفي رؤياه للجمال، لما يمتلكه الإمام من علمٍ وافرٍ، أثرى المكتبة العربية. وكان الإمام قد درَّس كُتب الجرجاني، مما منحه رؤيا عالية في الجمال، انتقل مفهومها إلى الرافعي، وأثنى الإمام محمد عبده عليه ودعا له: ((واسأل الله أن يجعل للحق من لسانك سيفاً يمحق الباطل، وأن يُقيمك في الأواخر مقام حسان في الأوائل. والسلام))([[7]](#footnote-8)).

ومفهوم الجمال عند الرافعي واسع وعميق، لكونه بدأ شاعراً وانتهى كاتباً([[8]](#footnote-9))، واعتمد في تجسيد ثقافته وفهمه للجمال على مصدرين أساسيين هما: التراث العربي والدين الإسلامي([[9]](#footnote-10)). مفهومه للجمال الحسي للمرأة يكمُنُ بأن يجعل الرافعي جمال المرأة كما استقرَّ في فهمه منعكساً من العالم الخارجي بتأثير مثال رآه في "عصفورة" فتاة عشقه الأول في حياته، و "مي زيادة"، ثم منطلقاً لفهم الجمال إلى العالم الخارجي.

وبدأ مفهومه للجمال الحسي ينمو ويزداد بتأثير ذلك المثال الذي رآه، وكان هذا المثال محفزاً من محفزات الإبداع عنده، لإظهار مواطن الجمال المادي في المرأة، فهو يفهم الجمال الحسي من خلال قوله: ((لا أُحبُ إلا لثلاث: لأعرف، وأحسَّ، وأتخيل))([[10]](#footnote-11)).

والرافعي قد فهم بأن الشعر هو الجمال، فوجدناه يسمي كُل جميلةٍ شاعرة، لأنها تمنحه الشعر، و "الشواعر" عنده طبقات، على مقدار ما يبعثن فيه من الشاعرية ويرهفن من إحساسه؛ ففلانة شاعرة كالمتنبي وهذه كالبحتري([[11]](#footnote-12)).

وكان الرافعي كُلّما أحسَ حاجةً إلى الحب راح يفتش عن (واحدة) فيبادلها مشاعره وأحاسيسه فيكتب لها شعراً([[12]](#footnote-13))، فهو يؤمن ((بأنَّ النابغةَ في الأدب لا يتم تمامُهُ إلا إذا أحبَّ وعشق))([[13]](#footnote-14)). فلذلك أحبَّ الرافعي وعشق وبدأ بخوض تجربته أول مرة حينما التقى بـ "عصفورة"، وأخذ يستلهم معاني الحب والجمال، فنجده يقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **عصافير يحسبنَ القلوبَ من الحُبِ** |  | **فمن لي عُصفورةٌ لقطت قلبي([[14]](#footnote-15))** |

وكانت ثمرة ذلك الحُب الأول في حياته، أكثر قصائده الغزلية في الجزء الأول من الديوان؛ حتى لُقب شاعر الحُسن. وسمي أيضاً بشاعر الحُب والجمال لشده ولعه بالغزل([[15]](#footnote-16)).

ومفهوم الرافعي لجمال المرأة يظهر واضحاً وجلياً من خلال حبه تلك المرأة وإحساسه بجمال صورتها، فنجده يقول: ((وأرى أجمل الوجوه يخاطب في حاسة الإعجاب ولا يعدو هذه العاطفة، وأرى وجهك أنت يبلغ مني القصوى ويأخذ بقلبي كله ويستولي على جملة ما في إنسانيتي))([[16]](#footnote-17)).

نشأ الرافعي مُرهف الحس مفتوناً بالجمال، نبضات قلبه لا تخفق سوى للحُب الذي عكسته كتاباته الشعرية، ودلت عليه بدلائل تسمو فوق الغرائز والشهوات، فهو يرى في النساء الجميلات مفهوماً فلسفياً للحب والجمال، فيقول:

((الجميلات هُنَّ كواكب الأرض يدرنَ في أفلاكِ القلوب؛ ولست ترى فلكياً يرصد نجوم السماء إلا ولعينيه منظار تكبرُ فيه الأشياء أضعافاً إلى أضعافها))([[17]](#footnote-18)).

وهو يرى أنَّ جمال المرأة يجذب كل من يراه، فتُدرك الحواس قيمته كما تدرك الأبصار نجوم السماء، وتتمثل أسلحة الحب لدى المرأة (بالشباب والجمال والنضارة)، لتغزو قلوب مُحبيها، في هذا يقول الرافعي:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **سيَّالةُ الأعطافِ أين ترنَّحت** |  | **تُطلقْ لكهربةِ الهوى سيَّالَهَا** |
| **طلبوا لها شَبهاً يُضيءُ ضياءَها** |  | **لهوى النواظر أو يُدلُّ دِلالَها([[18]](#footnote-19))** |

ويقول في موضعٍ آخر:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **نظرت إليها نظرة فتوجعت** |  | **وثنيت بالأخرى فدارت رحى الحرب** |
| **فمن لحظةٍ يُرمى بها حدُّ لحظةٍ** |  | **كما التحمَ السيفانُ غَضْباً على غَضْبِ([[19]](#footnote-20))** |

يصور الرافعي بألفاظ مدوية قوية شدة تأثير هذه المرأة ووقع جمالها الآسر على الرجال، وبحسب رأي العقاد إنَّ في كل حُب بين رجل وامرأة شيئاً من حاسة الجمال([[20]](#footnote-21)).

وجدنا عناصر الجمال في أدب الرافعي مشتركةً بينه وبين القدامى، ومزيته أنه اكتفى بإشارات بسيطة تفصّل مفهوم الجمال عنده.

فالمرأةُ عند الرافعي تجسد مفهوم الجمال الحسي في أدبه، فهي تستخدم قوة سلطانها ووفرة عواطفها، وذكاءها الفطري، الذي ينسي الرجل نفسه مهما كان سنه أو مقامه، وهي كالزمن تمتد في كل العصور([[21]](#footnote-22)).

والعرب نظروا إلى جمال المرأة وفصّلوا القول فيه، فقد أحبوا الجمال وشغفوا به على مر العصور، قبل الإسلام وبعده([[22]](#footnote-23)).

ولقوة سلطانها على قلب الرجل فقد استغرقت المرأة في العصر الأموي مثلاً، سواء في الغزل العذري أو الحسي أدب الشاعر كله لزيادة أهميتها وتأثيرها([[23]](#footnote-24)).

ولقد تأثر العرب بالجمال الحسي، وجسموا في المحبوبة المثل الأعلى للصورة الحسية، التي تعتمد في تصويرها والتقاطها على البصر والذوق واللمس.

ووجدنا الرافعي أيضاً بحسه المرهف يقف على مواطن الجمال الحسي للمحبوبة، ويفصل في القول في تلك المواطن ليثبت مفهومه للجمال الحسي، فوجدناه مثلاً يقف على مواطن جمال الوجه، فيقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **فوردت الطبيعة وجنتيها** |  | **ونضر وجهها الحُسن الطبيعي([[24]](#footnote-25))** |

ويقول أيضاً:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **لو شبهوا بدرَ السماء درهماً** |  | **لشبهوا وجهك دينارا([[25]](#footnote-26))** |

والرافعي يستشعر جمال المرأة، فيجسد جمالها الحسي الظاهر بجمال وجهها، فيقول: ((إذا نظر إلى وجهِ الجميلة الحسناء فلماذا لا يُحس أنَّ قلبه امتلأ جمالاً))([[26]](#footnote-27)).

ويشبّه الرافعي في موطنٍ آخر جمال وجه المرأة بالقمر والشمس، بل يعده كل من ينظر إليه من الذين قالوا ثلاث ،من الديانة المسيحية،الذين يعتقدون أنَّ الإله ثلاثة آلهة وما من اله إلا الله ،إنهم يجعلوه قمراً ثالثاً، ويقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **أنتَ كالبدرِ حين يطلع لكن** |  | **في سواد القُلوب والمقُلتين** |
| **لو رآكِ الذين قالوا ثلاث** |  | **بعد وهنٍ لثلثوا القمرين([[27]](#footnote-28))** |

ويشبه وجهها بالقمر في موضعٍ آخر، فيقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **ويا طلعة البدر أما سفرت** |  | **كما تسفُر الخود في المجلسِ([[28]](#footnote-29))** |

فالرافعي يصف جمال وجهها ونوره الساطع كما وصفه الشعراء القدامى، بـ "وجهها كضوء القمر" و "أضوأ من النَّهار إذا استنار" و "أبهى من سرابيل الأنوار"([[29]](#footnote-30)).

ويضفي الرافعي على وجهها صفات جميلة، من خلال سؤاله للبدر والشمس عن جماله، فيقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **أسائل البدر عنك حينا** |  | **وأسأل الشَّمسَ عنكِ طورا** |

إلى أن يقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **فتنتِ مصرا فهل تولى** |  | **يوسف يا ذا الدلال مصرا** |
| **لو عبد الشمس فيك قومٌ** |  | **لكان هذا الجمال عُذرا([[30]](#footnote-31))** |

فالأبيات يصور فيها جمال محبوبته، فيسأل تارةً البدر والشمس عن جمالها، وتارةً يُقارن جمالها بجمال يوسف، فيُعلي جمالها على جمال الشمس.

والشاعر العربي كان يُجسم لنا في محبوبته المثل الأعلى للصورة الحسية، ويقارن جمال وجهها تارة بـ (الشمس) وتارة بـ (القمر)، ومن ذلك قول عمر ابن أبي ربيعة يصف نور وجهها عند طلعتها، إذ يجلو ظلمة الليل ودجنته:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **وإذا تراءت في الظلام جَلتْ** |  | **دجَن الظلامِ كأنَّها بدرُ([[31]](#footnote-32))** |

ويشبّه محسوساً بمعقول، يشبّه الوجه، وهو شيء محسوس، بالسعادة المُقبلة، وهي شيء معقول ويستعين بمعقول آخر، هو حيوية الشباب (دم الشباب) ليزيد تشبيهه جمالاً، فيقول: ((وجهٌ وضيء الطلعة كأنه السعادة المقبلة ،يصل اليه دم الشباب من القلب يتحول فيه إلى جمال وفتنة، كما تجول قطرات الياسمين في غصن الياسمين ثم تتحول في تلك الزهرة العطرة إلى جمال))([[32]](#footnote-33)).

ويشبه الرافعي وجهها أيضاً بالضحى، لما فيه من إشراقة جمالية تدركها حواس كل من يحب، فيقول: ((من هذه الهيفاء التي تستميل ولا تميل، وقد استبدت بالجمال فلا يرى في غيرها شيء جميل، طالعةٌ كالضحى فكل نجمةٍ من ضوئها كاسفة، لاهية كالنسيم وفي كل قلب من حُبها عاصفة، وقد عبدها العشاق باطلاً كما يعبد المجوس الشمس))([[33]](#footnote-34)).

ويصف الرافعي جمال وجهها وهي تلبس النقاب، وجهها الذي يزداد جمالاً، حتى يظهر للعيان كالشمس إذا أميط عنه النقاب، فيقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **كم قطعت ذات الحجا** |  | **ب قلوبنا بحجابها** |
| **هيفاء إن خطرت فغص** |  | **ن البانٍ في أثوابها** |
| **وإذا أمطت نقابها** |  | **فالشمس تحت نقابها([[34]](#footnote-35))** |

ووجدنا هذا التعبير عن الجمال شائعاً في شعر القدامى، ومن ذلك قول العرجي:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **كالبدرِ صورتها إذا انتقبت** |  | **وإذا أسفرت فأنتِ كالشمسِ([[35]](#footnote-36))** |

وكلما نظر الرافعي إلى محبوبته أحسَّ أن للشمس والقمر يداً في إشراقتها، فيقول: ((وما رأيتها مرة إلا وأحسست نفسي تصورها تصويراً كان الشمس والقمر قد صنعاها في الحُسن صنعة جديدة))([[36]](#footnote-37)).

وحين جسّد الشعراء الحسيون في شعرهم وصف الوجه، برزت لديهم قيمته الجمالية من خلال سعيهم في البحث عن الجمال، وكل ما هو جميل. لذلك يؤكد الدكتور محمد حسن الحلي أنَّ الشعراء قد كرَّسوا لمحبوباتهم أرق الصفات وأحسن المزايا([[37]](#footnote-38)). فجعلوها الأمل والإشراف والتطلع، ووصفوها بالمظاهر الحسية، وشبهوها بما هو مادي مما يدل على ذوقهم، ويعبّر عن واقعهم وما هو سائدٌ في ذلك الوقت. فصارت تمثالاً للجمال ورمزاً له([[38]](#footnote-39)).

ويعجب الرافعي بجمال وجه المرأة، مما يجعل ملك الجمال على أتم الاستعداد لاستقبالها، كلما نظرت لنفسها بالمرآة، يقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **فرأت على المرآة وجهاً ظنَّهُّ** |  | **مَلَك الجمالِ يُحاول استقبالها([[39]](#footnote-40))** |

وتتكاثف مشاعر الرافعي وأحاسيسه حول جمال الوجه، فتسمو عواطفه لتصوّر له ذلك الجمال جمالاً سماوياً، وتحس تلك المرأة برقة عواطفه فتبادله الغرام، فيقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **في منظرِ الأقمار ألمحُ وجهها** |  | **وتُحِسُّ في لمسِ النَّسيمِ غرامي([[40]](#footnote-41))** |

إلا أنَّ الرافعي يرى وجهها الجميل (يكاد يكون في بعض معانيه وجهاً حسناً للتوفيق بين الإيمان والإلحاد)([[41]](#footnote-42)). ومن معاني وجهها الجميل، إنّه يُضيء في أعماق النفس كما يُضيء الكوكب في أعماق الفضاء([[42]](#footnote-43)).

ومن ملامح الجمال الحسي التي وقف عندها الرافعي لإظهار جمال المرأة، جمال العيون، فقد وقف على أسرار جمالها. وتعد العيون من أبرز الأشياء الجميلة في وجه الإنسان، وامتدحها العرب كثيراً وفصلوا في وصفها ونسبوا إليها السحر والقتل، لروعة جمالها وفتنتها، فهي تأسر وتفتح القلب للحب، وهي التي تفعل في العقل فعل الخمر([[43]](#footnote-44)).

وأطلق الرافعي على العيون الجميلة الكثير من الصفات، ومنها ذات السحر التي تأسر كل القلوب، فقال:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **وأرى السحر في العيون فهل** |  | **جئت بها (بابلاً) إلى الساحرين([[44]](#footnote-45))** |
| **وبخديكِ جنتان ولكن** |  | **في فؤادي لظى من الجنتين([[45]](#footnote-46))** |

ووقع الرافعي تحت سحر عينيها، كونه فعالاً سريع السريان يندفع من عيني المحبوبة إلى قلب المحب سعادةً تشبه السعادة التي ملأت قلب سيدنا يعقوب، حين جاءته بشرى سلامة يوسف عليه السلام، فيقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **سحرُ عينيك سالَ في تشبيبي** |  | **فانتشى منه عطف كلَّ أديبِ** |
| **وتمشي إلى القلوب كبشرى** |  | **يوسف إذا مشت إلى يعقوب([[46]](#footnote-47))** |

ومن صفات سحرِعينيها، أنه موجود في داخل الأهداب لا يفارقه، فيقول:

|  |  |  |  |  |
| --- | --- | --- | --- | --- |
| **والسحرُ من تلك العيون** |  | | **يلوحُ من أهدابها([[47]](#footnote-48))** | |
|  | |  | |  | |

ويحدثنا الرافعي عن نظراتها السحرية الثاقبة، التي تصدر من أقوى الحواس عند الإنسان وهي حاسة البصر، فتصل إلى قلبه الذي يفهم معناها الحقيقي، فيقول:

((إذ أكتب عن نظرتكِ السحرية التي أجدلها في قلبي معرض فنِ كامل من صور المعاني الجميلة فإنَّ نظرة الحُب تقع موقعها في العين وحقيقة معناها في القلب، كأختها قُبلة الحُب: هي في الفم وحلاوة طعمها في الفكر))([[48]](#footnote-49)).

وجمال الخَلْقِ والصورة كما يحدثنا عنه القرطبي ((فهو أمر يدركه البصر ويلقيه إلى القلب متلائماً، فتتعلق به النفس من غير معرفة بوجه ذلك ولا نسبته لأحد من البشر))([[49]](#footnote-50)).

وكما استعان العربي بالطبيعة في وصف العيون، وتشبيهها، بأجمل العيون التي رآها في بيئته من الظباء([[50]](#footnote-51)) والريم والمهاة وغيرها، وأن الحلاوة كما قالوا "في العينين". وجدنا الرافعي كذلك يشبه جمال عيون المرأة بالغزالة، بل جعل عينيها أجمل من ذلك، ثم يقرر أنَّ جمالها لا يُقاس، لأنّه أكبر من المقاييس، فهو يستحق أن يُقاس به، فيقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **قاسوكِ يا شمس الضحى** |  | **بالبدر ظُلماً والهلال** |
| **ورأوا عيونك فاستها-م-** |  | **موا بالغزالة والغزال** |
| **يأبى جمالكِ أنْ يُقا-م-** |  | **س وأنتِ مقياسُ الجمال([[51]](#footnote-52))** |

ومن شدة إحساسه بجمال عينيها، تغدو في نظر الرافعي، حورية من حُور الجنة، فيقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **حوريةٌ شهدت لها جنّاتها** |  | **وجمال عينيها شهادتها لها([[52]](#footnote-53))** |

ثم يتحول جمال عينيها بمخيلته الواسعة إلى مشهدٍ آخر، وبمعنى آخر، سحر جمالها الذي يفتن العقول،فيستجيب إليهاالموت،أويجعلها تستهين به، فيقول: ((ولكنّي أشهد أنَّ عينيها كأنهما غير إنسانيتين، لو كانت في أسدٍ ضار لارتمى عليه العاشق من تلقاء نفسه ليفترسه!..))([[53]](#footnote-54)).

والرافعي ينظر في فهمه للجمال إلى ناحيتين: ((حُسنه في ذاته، وحُسنه في خياله الذي يجعله أسمى من ذاته))([[54]](#footnote-55)).

ويوسع الرافعي في أذهاننا، جمال العيون من خلال وصفه للجفون التي تفتك بقلب المُحب، فتك السيف على الرغم من نظراتها المنكسرة الناعسة، فيقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **ذات جفونٍ قتلت** |  | **بصارمٍ منكسرِ** |
| **تلينُ في حديثها** |  | **وقلبُها كالحجرِ([[55]](#footnote-56))** |

ومن صفات تلك الجفون أنها كحلاء، وهي سوداء العينين من غير كحل فتضفي على تلكما العينين جمالاً فوق جمالها، وهي سلاح كالسيف البتار، فيقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **وكم بها من أكحلِ إنْ رنا** |  | **سلت لك الأجفان بتارا([[56]](#footnote-57))** |

والرافعي يغرق في جمال تلكما العينين، وانعكاساتهما الجمالية، على نفسه، فوجدناه في أثناء حديثه عن القمر، يصف حاجبي امرأة، فيقول:

((فيه حاجبان كأنهما تمثيل للانحناء الخطي في الهندسة السماوية التي وضع الجمال على قواعدها،.. وينتهيان إلى طرفين دقيقين لا يغمر بهما إلا ثقبا القلب من جانبيه))([[57]](#footnote-58)). ويرى إنَّ انحناء ذلكما الحاجبين ورقتهما يجسدان أصدق مثال للجمال الذي أبدعه الخالق الأعظم، وهما يؤطران عينين ترسلان نظراتٍ مثل السهام، تثقب القلب من جانبيه.

والرافعي يتخذ من جمال العيون بُعداً آخر، ليثبت مفهومه للجمال الحسي في أذهاننا، من خلال إقراره بـ "لغة العيون"، التي هي إشارات وحركات مُرسلة، فهي تنطق وتتكلم ولكن بغير صوت، فنجده يقول: ((وتحتهما عينان تنظران – والله- بروح تكاد تنطلق ولا يُفهم معناها، إلا كأنها ناطقة))([[58]](#footnote-59)).

ويقول الرافعي في ذلك المعنى أيضاً:

((ونظرات من عينٍ ساجية ساكنة الطرف كأنها تقول لي: إنَّ نظراتي إليك بعضُ أفكاري فيك))([[59]](#footnote-60)).

ويبدأ الرافعي حديثه معها عن طريق لغة العيون، ويفسر ما تريد أن تقوله، عن طريق الإشارات والحركات، من خلال نظراتها إليه، فيقول:

((ونظرات من عينٍ تسأل متجاهلة وقد شطرت بصرها كأنَّ فيها فكرين أحدهما يقول أعرفك، والآخر يقول لا أعرفك!

ونظرات الحبيبة لألأت بعينيها كأنها تقول لقلبي: أنت جرئ كالفراشة، ولكن على الشُعلة المُحرقة...!))([[60]](#footnote-61)).

وفي النهاية يصل إحساسه إليها، فيقول: ((إنّها تُحسُّ بأفكاري تُداعبها وتلمسها))([[61]](#footnote-62)).

ويستمر الرافعي في حديثه معها عن طريق لغة العيون، فيتبادلان النظرات والحركات، ومن ثم يتبادلان الحب، وتكشف ذلك لغة عيونهما، فيقول: ((ولم تكد العين تكتحل بالعين([[62]](#footnote-63)) حتى أخذت كلتاهما أسلحتها.. وأثبتت اللقاء أنه لقاء الحُب؟

وقلت لي بعينيك: أنا... وقلت لك بعيني.. وأنا... وتكاشفنا أن تكاتمنا؟ وتعارفنا بأحزاننا كأنَّ كلينا شكوى تهم أن تفيض ببثها))([[63]](#footnote-64)).

واستمد الرافعي ذلك المفهوم الجمالي للغة العيون من التراث العربي القديم، من خلال ما أورده الجاحظ عن لغة العيون وما تصدره من الإشارات والحركات، ويؤيد صحة ما جاء فيه، بأبيات من الشعر العربي:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **العينُ تُبدي الذي في نفسِ صاحبها** |  | **من المحبةِ أو البغضِ إذا كانا** |
| **والعينُ تنطق والأفواه صامتةٌ** |  | **حتى تُنيرَ من ضمير القلب تبيانا([[64]](#footnote-65))** |

ومتى عرفنا أنَّ وظائف الأعضاء هي مقياس الحُرية والجمال في جسم الإنسان- على حد رأي العقاد- عرفنا كيف يكون جمال المرأة وكيف ينبغي أن يكون([[65]](#footnote-66)).

والرافعي يُفصّل ويجزئ عندما يصف المواطن الجميلة الأخرى من الوجه، كالخدود والشفاه والوجنتين، والأنف والفم، فيقف عندها كما وقف الشعراء القدامى، لإظهار مواطن الجمال الحسي للمرأة.

ويصف الرافعي جمال خديها الورديين، مع تلك الشفاه الحمراء التي يرسمها لنا بريشته على وجهها، فتشكل لوحة جمالية، فيقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **خداكِ يا ذات العيو-م-** |  | **ن الفاترات النّعسِ** |
| **كالوردِ إلا إنّه** |  | **يحميه لحظ النرجسِ** |
| **وأما وقدك وهو من** |  | **تلك الغصون الميس** |
| **وشفاهك الحمراء والخمر** |  | **التي لم أحتس([[66]](#footnote-67))** |

واللون المفضل للخد عند العرب هو اللون الأحمر أو الأزهر([[67]](#footnote-68))، وهذا ما استحسنه الرافعي، من خلال إدراكه لتلك المقاييس الجمالية في وصف محبوبته، واللون يضفي انعكاسات جمالية على النص، وقد يكون عنصراً من عناصر الجمال في الصورة، ولكنه في حدِّ ذاته ليس جميلاً([[68]](#footnote-69)).

ويرى الرافعي في موضعٍ آخر، أنَّ في وجنتي محبوبته ورداً، وهو علامة من علامات ريعان شبابها، فكانت وجنتاها كالزهرتين، فيقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **والورد في وجناتها** |  | **يندى بماءِ شبابها([[69]](#footnote-70))** |

إنّ هذا المفهوم للجمال الحسي موجودٌ عند الشعراء القدامى، كما يصوره العرجي لنا، فيقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **يزداد توريد خديها إذا لحظت** |  | **كما يزيد نبات الأرضِ بالمطرِ** |
| **فالوردُ وجنتها والخمرُ ريقتها** |  | **وضوء بهجتها أضوا من القمرِ([[70]](#footnote-71))** |

ومن مواطن جمال الوجه الأخرى، التي تعرض لها الرافعي الخد الأسيل، وهو الطويل السهل مع قلة اللحم، والأملس المستوي المسترسل([[71]](#footnote-72))، فنجده يقول:

((وتراهما أسيلين بارزين فيا لله! هل هما ثديان صغيران من الورد يُرضعان طفل الحُب- الذي هو النحلة الإلهية في لذع الأرواح وإطعامها- العسل والمعسول؟))([[72]](#footnote-73)).

يطلق الرافعي حاسة بصره ثاقبة، ليصور لنا تلك الصورة الجميلة التي يحسها لذلكما الخدين فكأنه يراهما ثديين صغيرين من الورد، يرضعان طفل الحب، الذي يفعل فعله المعهود في نفوس المُحبين.

والصفات الجميلة التي يبحث عنها الرافعي في جمال وجه المرأة، أن تكون (زهراء اللون ,حوراء العينين، ساجية الطرف، أسيلة الخد، باسمة الثغر، حسنة التكوين كأنّها ريحانة ترف رفيفاً)([[73]](#footnote-74)). وهو بذلك يرسم لنا بريشته صورتها الجميلة ويجسدها بتلك اللوحة الفائقة الجمال، مُجسداً فيها إحساسه بالجمال.

وخلاصة الجمال لصورتها، تكمن فيوصف الأنف والفم، يقول:

((وبين الخدين أنفٌ جميل تنحدر عليه اللحظات الفاتنة وتلتقي إليه الأشعة الوردية فهو خُلاصة الجمال، وتراه بين ذينك الخدين كالإنصاف بين القوتين)). ([[74]](#footnote-75))

إلى أن يقول:

((ودون ذلك فمٌ أصغر من فم الحقيقة، كأنّ في شفتيه الرقيقتين الحمراوين روح الدم))([[75]](#footnote-76)).

ففي المقطعين يظهر لنا شدة إحساسه بالجمال، مع طغيان الصورة اللونية في تصويره للجمال الحسي، فقد شكلت تلك الصور عنده منعطفاً مهماً في فهمه للجمال.

كما أنَّ إحساسه الجمالي المرهف جعله يصف جيد المرأة وقوامها وصفاً دقيقاً كما وصفه الشعراء الحسيون القدامى، يقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **هي غُصنُ الرياضِ والور-م-** |  | **د قواما ونعمة وخدودا** |
| **وهي شمس السماء والظبية الغيـ-م-** |  | **ـداء وجهاً ومقلتين وجيدا([[76]](#footnote-77))** |

فيصف الرافعي في البيت الأول قوامها، فهو كالغصن كونه يصف طولها الرفيع، وهذا مما زاد من جمالها، كما شبهت العرب المرأة الطويلة بالغصن وقد قيل في وصف القوام ((قد ركب في غصن بان وقضيب ريحان، أهيف القد))([[77]](#footnote-78))، وطولها في نظر الرافعي عند جعله كالغصن إنما يُبرز المحاسن الأخرى في المرأة كالصدر, والخصر, والخدود مما يعطي شكلها الخارجي منظراً في غاية الجمال. وفي البيت الثاني يشبه الرافعي جيدها بجيد الظبية الغيداء، وهذا تشبيه قد ألفه الشعراء الحسيون القدامى والعرب فقيل ((كأنّ جيدَه جيدُ ظبي قد اتلع لرؤية قانص))([[78]](#footnote-79))، وهذا الجيد كما يصفه الرافعي قد زاد من جمال وجهها وعنقها، كونه يظهر محاسن وجهها، وكذلك حتى القوام فإنه يظهر جمالها، فيقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **وانعقد الثديان في** |  | **قوامها كالثمر([[79]](#footnote-80))** |

ومما زاد في جمال منظرها كما يصورها لنا الرافعي، هو شعرها الذي يزيد جمال جيدها بياضاً لسواده ، وصفة شعرها فينانة أي الحسنة الشعر الطويلة، التي يظهر جمالها الخارجي يقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **ويا لمة الآس فينانة** |  | **كلمة ذي الصيد الأشوس** |
| **ويا قضب البان مياسة** |  | **ترنح كالأهين المحتسي([[80]](#footnote-81))** |

ويصف الرافعي هيئة شعرها الأسود الجميل الفاحم فيقول: ((وكانت قد وقفت إليها تسوي خصلة من شعرها الأسود الفاحم المتدلي عناقيد))([[81]](#footnote-82)).

وأراد الرافعي أن يصف في هذا المقطع جمال شعرها الأسود الفاحم المتدلي عناقيد، والمتفرع فروعاً عدة، مما زاد في جمال وجهها، وهذا ما استحسنه العرب فكانوا يفضلون اللون الأسود الفاحم لشعر المرأة المسترسل الناعم([[82]](#footnote-83)). يقول عمر بن أبي ربيعة في هذا المعنى:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **وبفرعٍ قد تدلى فاحم** |  | **كتدلي قنو نخل المجتني([[83]](#footnote-84))** |

لقد امتلك الرافعي إحساساً جمالياً عالياً في وصفه جمال المرأة، فهو يصف أناملها الجميلة وحركتها التي تحرك حتى القلب الساكن، ويجعل في هذه الصورة حاسة اللمس تأخذ بُعداً جمالياً في أدبه، فيقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **بنفسي مَن تَشفي أناملها الجوى** |  | **فلو قبل المضني يديها لما اشتكى** |
| **ولو أنَّ قلبي كان في القبر ساكناً** |  | **ومرت عليه كفها لتحركا([[84]](#footnote-85))** |

ويصف بإحساسه الجمالي أيضاً، زينتها من خلال كلامه عن ملابسها التي ترتديها، فتعطيها جمالاً فوق جمال صورتها، فيقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **وتميسُ في أثوابها الحُمر** |  | **كالغُصنِ في أثوابه الخُضر([[85]](#footnote-86))** |

وكذلك يصف منظر الحلي التي تزينها متدلية على صدرها، فيزيدها ذلك جمالاً، فيجعلها بذلك المظهر ملكة المشرق والمغرب، يقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **خفق الحُلي فوق صدرك والقلـ** |  | **ـب فهل أنتِ مالك الخافقين([[86]](#footnote-87))** |

ويرقى الرافعي بمحبوبته،ويسمو بها مرتبة تفوق ماتعارف الناس عليه من مراتب،يسمو بها لتصبح كياناً معطراً،حين تلامس يداها زجاجة العطر التي أهداها إياها، لتتحول بعد ذلك شيئاً أسمى،([[87]](#footnote-88))،يكشف عنه قوله لها: ((وأنت سبيكة عطر كل موضعٍ منك يأرَجُ ويتوهج، وهي سبيكة جمال، كل موضع فيها يستبي ويتصبى!))([[88]](#footnote-89)).

وبذلك يفوح جمالها عطراً على الرافعي فيشمهُ ويسعد به.

وتكتمل زينتها في نظر الرافعي، وتضفي ملابسها والحلي والعطر الذي يفوح منها كونها سبيكة عطر، ومسحة جمالية على مظهرها الخارجي، لتكون آيةً من الجمال الذي خلقه الله سبحانه وتعالى.

وبهذا يكون الجمال عند الرافعي على مقدار ما يُحسن الإنسان أن يُفهم منه، ثم على مقدار ما يؤثر من هذا الفهم، ثم على مقدار ما يثبت من هذا التأثير، وتلك هي درجاته الثلاث، فجمال تستحسنه، وآخر تعشقه، وجمال تُجَنُ به جُنوناً([[89]](#footnote-90)).

ومن الملاحظ أن الرافعي يجعل المرأة المحبوبة ((هي وحدها القاعدة العامة في الجمال وهو وحده البرهان والدليل))([[90]](#footnote-91)).

ولاحظت أيضاً أنَّ الجمال الحسي للمرأة عند الرافعي وليد لحظةٍ ما، فهو يرى موقفاً فيثبت نظرته في مفهومه للجمال.

***المطلب الثاني***

***جمال الطبيعة والكون***

الرافعي كغيره من الأدباء لم يخلُ أدبه من وصفِ جمالِ الطبيعة الفتَّان، فهي جميلة بنظره، بل هي فوق أن تكون جميلة([[91]](#footnote-92)).

و جمالها المنظور أفاض بتجلياته على نفس الرافعي، فبدا واضحاً مفهومه لجمال الطبيعة، بقوله: (لله أنت أيتها الطبيعة الجميلة، ولله جمالكِ الفَّتان الذي يترك من حُسنه بقيةً في كل عينٍ تحدّق إليه فتجعل كل شيء تصادفه جميلاً)([[92]](#footnote-93)).

فالمحسوسات في( الطبيعة إذا أدركها الحس حصل عنها لجماله الخاص به ثم تبعتهُ لذة، أما غير الطبيعية فهي التي إذا أحسّت حصل عنها للحس نقيضهُ ثُمَّ يتبعها بعد ذلك أذى)([[93]](#footnote-94)).

وإدراكنا للعلاقات الجمالية في أي عملٍ جميل قائم على أنَّ الجمالَ غايةٌ مُدركةٌ في موضوعه([[94]](#footnote-95)).

ولدى الرافعي ما يُضفيه من مشاعر وأحاسيس، تجاه الطبيعة والكون، مُجسداً بذلك فهمه للجمال الحسي تجاهها، فتتولد لديه من خلال مشاهدته الطبيعة والكون أفكاراً تنعكس على فهمه الجمال، من خلال وصفه لمحسوس خارجي بمثالٍ رآه في القمر، فالرافعي يتحدث معه ويناجيه، ويصف حركة النجوم حوله التي تظهر جمال الطبيعة، قائلا: ((أيها القمر! الآن وقد أظلم الليل وبدأت النجوم تنضخ وجه الطبيعة -التي أعيت من طول ما انبعثت في النهار- برشاش من النور الندي، يتحدر قطراتٍ دقيقةً منتشرةً ،كأنها أنفاس تتثاءب بها الأمواج المستيقظة في بحر النسيان، الذي تجري فيه السُفن الكبيرة من قلوب عشاقٍ مهجورين برَّحت بهم الآلام))([[95]](#footnote-96)).

أحبَّ الرافعي القمر وأعطاه حيزاً واسعاً في أدبه، مثل حجمه الطبيعي والجميل في الكون، فوهب له كل حواسه وفكره وعقله، بل أسلم له كل كيانه، فاستسلم له القمر وأعطاه كل ما أراده من مناظر جميلة وأفكار، يصل بها إلى حبيبته أو عواطف ينبغي التعبير عنها، فبدأ يرى فيه آفاق الأمل، فيشاركه دموعه وأحزانه، قائلاً: ((وكم ناجاك أيها القمر من عاشق قبلي، فإنّك ما انفصلت عن الأرض إلا ليجعل الله منك أفقاً لآمال الإنسانية الجميلة، بل أنا لا أحسب عاشقاً من لا يناجيك، ومن لا يأتي بدموعه وأحزانه وهواجسه وآماله، فينطرح في هذه اللُجَّة التي ترسلها من شُعاعِك))([[96]](#footnote-97)).

والقمر يخفف عنه الألم بضيائه المشرق ونوره الساطع في ظلام الليل، ولولاه لأصبحت الحياة كلها مظلمة لا تطاق ولا يفهم معناها، فهو يقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **فيا قمر الأفق ماذا الزَّمان** |  | **جيلٌ تخلَّى وجيلٌ غبَرْ** |
| **ويومٌ يَفِرُ ويومٌ يَكِر** |  | **فآنا نساء وآنا نُسَرْ** |
| **بربك هل بالدجى لوعة** |  | **فإن غابَ عنه سناك ابتكَرْ([[97]](#footnote-98))** |

فالقمر يثير في النفس معاني ومشاعر لا حصر لها، يثير فيها مشاعر الطفولة التي تحبو، ويُثير فيها معاني الأمل في مستقبل بسَّام وضيء، ويُثير فيها

شعوراً يجدد الحياة، وقد يثير فيها إحساساً ما بعد إحساس([[98]](#footnote-99)).

ويرى الرافعي في جمال بريقه الفضي جسد الحبيبة، فتطغى هنا الصورة اللونية على حاسة بصره، ليعمق من خلالها إحساسه بالجمال فيقول: ((فأنت جميلٌ جمالَ الجسم البض العاري، تكاد تشبه صدر الحبيبة كشفت أعلاه فَظَهَر في بريق الفضة المجلوة))([[99]](#footnote-100)).

والطبيعة كما يفهمها الرومانسيون صديقة وفية، لما تمنحه من جمال لحسهم وهدوء لنفوسهم، فيستسلمون إليها ويشاطرونها المناجاة، ويبوحون إليها بعواطفهم وآلامهم([[100]](#footnote-101)).

ويستمر الرافعي بوصف القمر مُنبهراً بلونه الجميل، زاهي البياض كالزهر الأبيض،مشيراًالى إنعكاس هذا اللون على حواسه ليزداد اتجاهه إحساساً بالجمال، إذ يقول: ((كنت جميلاً، ولكن جمال الزهر الأبيض، وكنت في رفقتك المضيئة تشبه النهار مطوياً بعضه على بعض حتى يرجع في قدر المنديل))([[101]](#footnote-102)).

وينظر الرافعي إلى الطبيعة نظرة المفكر العاشق، فيعرف صفات الجمال فيها، فلم يرَ الأشياء بأسمائها وألوانها بل عرف حقائقها, ومعانيها([[102]](#footnote-103)).

ويصور الرافعي بعدسته البصرية صورة حديقة يطل عليها ضوء القمر، فيضفي عليها صفات جمالية، إذ يُعيد نوره الأمل لتلك الحديقة، فتتحول إلى قطعة من الجنة، بنغمة من نغمات روح الخلد، يقول: ((أتذكر أيها القمر إذ طلعت لنا في تلك الحديقة... وتفيأت بنورك عليها فعمرت أرضها وسماءها بروح الخلد، حتى وقع في وهمنا أنَّك وصلتها من سحر أشعتك بطرف من أطراف الجنة فهي ناحية منها؟))([[103]](#footnote-104)).

واستطاع الرافعي من خلال فهمه للجمال الحسي، أن يمزج بين جمال الطبيعة والمرأة، مزجاً حسياً يَدلُ على تأثير حاسة البصر في فهمه للجمال، فيقول: ((أتذكر، وقد رأيتك ثمة قريباً من الحبيبة تصب عليها النور، حتى خُيّلَ إليّ أنها إحدى الحور العين متكئة في جنتها على رفرفٍ خضر، وقد وقف لخدمتها القمر))([[104]](#footnote-105)).

وكأنَّ الرافعي حين يصف القمر ويناجيه، ويتأمل جماله وإنارته ظلام الليل بنوره الساطع، يراه بعين إبن خفاجة الأندلسي، حين وصف القمر، فقال:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **لقد أصَخْتُ إلى نجواكَ من قمر** |  | **وبتُّ أُدلجُ بَيْنَ الوعي والنَّظَر** |
| **لا أجتلي لَمحاً حتى أعي مُلحاً** |  | **عَدلاً من الحُكمْ بين السمعِ والبصرِ** |
| **وقد ملأت سوادَ العين من وضحٍ** |  | **ففرِّطِ السَّمع قرطَ الأُنسِ من سمر** |
| **فلو جمعْتَ إلى حُسن مُحاورة** |  | **حُزتَ الجمالينِ من خُبْرٍ ومن خبرِ([[105]](#footnote-106))** |

ومفهوم الجمال الحسي للطبيعة، لا يتوقف عند وصف المظاهر الخارجية، بل يتعدى ذلك المفهوم المُتعارف عليه، فالقمر يشاركه أفراحه وأحزانه، فيقول: ((هل تبكي الطبيعةُ أيها القمُر فتكونَ أنتَ في ديباج السَّماءِ، كأنَّكَ دمعةٌ في منديلِ الطبيعةِلم تجفَّ بعد وقد بدأ فيها الجفاف. أترى الطبيعةَ باكيةً، وهي تلك التي تُرسلُ بعضَ ضَحَكاتِها دموعاً، تتَنّدى بها أجفانُ العيونِ النجلاء التي تجعلُ الرجالَ العظامَ صِغاراً، وهي عيون النِّساء والأطفال))([[106]](#footnote-107)).

فالطبيعة في نظره تضحك وتبكي، إذ أضفى عليها صورة حركية، وهي صورة الدموع التي تذرفها العيون النجلاء، ويجمع الرافعي بتلك الصورة بين جمال الطبيعة وجمال المرأة.

ويبقى أن نتساءل هل امتلك الرافعي منظاراً مقرباً فينظر من خلال عدسته ليصور جمال الطبيعة؟ وهذا ما أجاب عنه ، قائلاً: ((أترى يا قلبي كأنَّ هذا القمر في الحُب (تلسكوب) يكبر نوره العواطف إذ تَبُثُ في ضوئه، فلا يطلع على حبيبين أبداً إلا كبر أحدهما في عين الآخر))([[107]](#footnote-108)).

ومن مواضع جمال الطبيعة التي رأى فيها الرافعي ذلك، وصف منظر السماء، وقد طرزها خياله بالذهب والدر والياقوت، ويكتحل جمال تلك الصورة بإقبال الليل عليها نافضاً غبار النَّهار، وهو يرتدي رداءه الأسود، فيقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **ثوب السماء مُطرز بالعَسْجَد([[108]](#footnote-109))** |  | **وكأنّها لبست قميص زُبرجد** |
| **والشمس عاصبة الجبين مريضة** |  | **تصفُر في منديلها المتورد** |
| **حسدت نظيرتها فأسقمهما الأسى** |  | **إنَّ السقام علامةٌ في الحسد** |
| **ورأت غبار الليل ينفض فوقها** |  | **في الأُفق فانطبقت كعين الأرمد** |
| **ومضى النّهار يشقُ في أثوابه** |  | **حُزناً وأقبلَ في رداءٍ أسود([[109]](#footnote-110))** |

يصور الرافعي جمال السماء، 7حخج خلال حركة الليل والنهار، وتزداد تألقاً وجمالاً في وقت الليل، أكثر منه في النهار، الذي انطبق كما تنطبق عين الأرمد.

ويجمع الرافعي بين جمال السماء وجمال البحر، ليرسم صورة جميلة لطبيعة الكون والأرض، فنجده يقول: ((ما أجمل الأرضَ على حاشية الأزرقين البحر، والسَّماء! يكاد الجالس هنا يَظنُ نفسه مرسوماً في صورةٍ إلهية))([[110]](#footnote-111)).

ومن يتصفح أدب الرافعي سيجد صوراً كثيرة لجمال الطبيعة، وانعكاساتها على وجدانه، من ذلك وصفه للبحر الذي أخذت حواسه تُدرك قيمته الجمالية،إذ يقول: ((فجئتُ إلى هواء البحر فإذا هو بحرٌ ذائب، يحسُّ التنفس منه أن في صدره مثل الموج على ما ركد فيه، مما تركته الأيام والليالي من أحداثها وهمومها، فإذا صدره جيّاش مصطخب بالحياة يفور بها ويتضرب))([[111]](#footnote-112)).

افاض الرافعي على البحر من حواسه، ومن خلال حاسة الشم حين تَنَسَّمَ هواءه، فكان مُشبعاً من بخار الماء، فكأن تلك البلة بحرٌ ذائب في الهواء، ومن هوائه يتولد لديه إحساس أنَّه قد شبع من نسيمه، وبالتالي يحس كل من تنفس هوائه كأنَّ في صدره موجة من الأمواج الثائرة التي تعلو ماء البحر. وفي هذا المعنى يقول ابن خفاجة:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **فما أدري أموجٌ أم قلوبٌ** |  | **وأنفاسٌ تصعّدُ أم رياحُ([[112]](#footnote-113))** |

ويصف الرافعي لونه الأزرق الجميل، وإيحاءاته للنفوس، فيقول: ((ويوحي لونك الأزرق إلى النفوس ما كان يوحيه لون الربيع الأخضر إلا إنّه أرق وألطف))([[113]](#footnote-114)).

فالرافعي يَغَرقُ في غمرة لونه الأزرق وانعكاساته على نفسه، كونه أرق وألطف وأجمل من لون الربيع الأخضر. والميل إلى الشيء من المؤثرات الفعلية القوية في الحكم بجمال الشيء([[114]](#footnote-115)).

والبحر كما يراه الرافعي يمتلك صفات عدة، تستحق أن يدركها كل إنسان بجميع حواسه، فيقول: ((وأرى البحرَ مائجاً يترشش ويتناثر وهو بارد، ولكنه يبدو كما يغلي الماء في وعاء على النار يتقاذف من شدة ما يغلي، يضطرب ويدوي كما يُرجف الرعد، ترددت هدهدته يجاوب بعضها بعضاً، فكأنما البحرُ سحابٌ عظيم قد حبسه الله في الأرض))([[115]](#footnote-116)).

في هذه المقطوعة النثرية يؤكد الرافعي جمال البحر، بما يمتلكه من صفات ثابتة أسهمت في إظهار الجمال في الطبيعة، فهو بقوة حركته يتناثر ببرودته، وهو يغلي غليان النار، ويضطرب ويدوي ويرجف بقوة صوته كما يرجف الرعد ، وهو بقوة صوته يخترق حواس كل من يشاهده، وفي وفرته كأنه سحاب عظيم هائل يملأ عين كل من رآه.

ومن أسرار قوته التي يؤكدها الرافعي أنَّ الله تعالى هو الذي أودعها فيه وجعلها سراً من أسرار عظمته، فيقول: ((أيها البحر! قد ملأتك قوة الله؛ لتثبت فراغ الأرض لأهل الأرض))([[116]](#footnote-117)).

والبحر الذي شاهده الرافعي، برّاق وساطع،يزداد بريقه وضوحاً عندما تشرق الشمس عليه، فتظهر صورته وكأنه أرض عليها جميع المجوهرات، فيقول: ((ولكن أيها البحر! ما هذا البريق الذي تسطع به، حتى لكأنّك تحت الشمس أرض من الزمرد والفيروز والماس))([[117]](#footnote-118)).

ويمزج الرافعي بين جمال البحر وجمال المرأة، بحواسه الأخرى، فيقول: ((وما هذه الرقة في هذا الأديم الذي تتعرى به ،حتى لكأن كل موضعٍ فيك عليه بضاضة وإشراق من جسم فاتنة عارية؟))([[118]](#footnote-119)).

فالبحر في نظره رقيق جداً، كرقة المرأة، وبهذه الرقة يشبهه بجسد فتاة عارية جميلة.

ومفهوم جمال الطبيعة الحسي عند الرافعي، أنّه يجعل منها الجمال المعشوق، كونه يُسخر حاسة اللمس في التماس المعاني الجميلة، فيقول: ((خرجتُ أشهدُ الطبيعة؛ كيف تصبح كالمعشوق الجميل، لا يقدم لعاشقه إلا أسباب حبِّه! وكيف تكون كالحبيب، يزيد في الجسم حاسَّة لمس المعاني الجميلة!))([[119]](#footnote-120)).

والبحر في نظر الرافعي هو الجمال المعشوق، كونه امتلك صفات الجمال المعشوق، فنجده يقول: ((كلا فما أنت إلا كذلك الجمال المعشوق: يسطع ويرق ويتوحش ويهدأ ويثور، وله الأشعة الزاهية البراقة، والعري الحريري المُخمل، والزئير والهمس، والأعاصير والزوابع))([[120]](#footnote-121)).

فالرافعي يستلهم من الطبيعة والحب والمرأة معاني الجمال الحسي في أدبه. وفي الأدب العربي شواهد كثيرة، جمع فيها الشعراء بين جمال الطبيعة وجمال المرأة، والشعر الأندلسي خير شاهد على هذا، وفي ذلك قول ابن خفاجة الأندلسي:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **ولُجةٍ تفرقُ أو تعشقُ** |  | **فما تفي أحشاؤها تخفقُ** |
| **شارفتها وهي بما هاجها** |  | **من الصَّبا مُزبدةٌ تَقلقُ** |
| **فخلتني في شطِّها فارساً** |  | **قُرِّب منهُ فرسٌ أبلقُ([[121]](#footnote-122))** |

فأكثر أوصاف الطبيعة عند ابن خفاجة يشخصها ويرى في جمالها جمال المرأة ويصورها على نحوٍ إنساني تملؤه الحركة والنشاط، وهذا ما لاحظناه في شعره([[122]](#footnote-123)).

ويذهب بنا الرافعي إلى منظر الربيعِ وجماله، وغمرة ألوانه، وهوائه النقي الذي يعيد الحياة للطبيعة، فنجده يقول: ((في الرَّبيع تظهر ألوانُ الأرض على الأرض، وتظهر ألوان النفس على النفس. ويصنع الماءُ صُنعَه في الطَّبيعة، فتخرج تهاويل([[123]](#footnote-124)) النَّبات، ويصنع الدَّم صُنعه، فيخرج تهاويل الأحلام، ويكون الهواء كأنَّه من شفاهٍ متحابة يتنفس بعضها على بعض))([[124]](#footnote-125)).

ويبدو أنّ الرافعي قد أضفى شيئاً غير قليل من أحاسيسه على وصف الربيع، من خلال حركته في صنع جمال الطبيعة، فوفرة الماء في الربيع تخرج زينة النباتات، وبالتالي يتكون هواؤه النقي الذي يتنفسه الإنسان وكأنَّه يخرج من شفاهٍ جميلة.

ويرسم صورة الربيع الجميلة، وقوة حركته في الطبيعة، ليفيض جماله حتى يطغى على الأرض، فيجعلها منظراً من مناظر الجنة، فيقول: ((ويطغى فيضان الجمال، كأنّما يراد من الربيع تجربة منظر من مناظر الجنة في الأرض))([[125]](#footnote-126)).

ويرى الرافعي ِان جمال الأشجار في الربيع، جمال هندسي مستقل، ومهما تدخل الإنسان في تغيير شكلها، يأتي الربيع فيعيد الحياة إليها مرةً أخرى، فيقول: ((ما أعجب سرَّ الحياة! كُلُّ شجرةٍ في الربيع جمال هندسي مستقلٌ. ومهما قطعت منها، وغيرتَ من شكلها؛ أبرزتها الحياةُ في جمالٍ هندسي جديد كأنّك أصلحتها))([[126]](#footnote-127)).

فالجمال في نظر الرافعي نوع من الهندسة أسهمت الطبيعة في تكوينه، ويؤكد هذا المعنى الدكتور زكي نجيب محمود، فيقول: ((إنَّ الجمال هو نسب بين الأبعاد بغض النظر عن المادة التي صبت فيها هذه النسب، أهي حجر، أهي سحاب، أهي خشب، أهي جسم بشري، أهي زهرة من الزهور؟))([[127]](#footnote-128)).

والرافعي كان مُعجباً بجمال الطبيعة في لبنان، وجبالها العظيمة الملتصقة بالسماء، ومناظرها الخلابة والجميلة، ومدارجه المنحدرة من الجبال، فيقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **لبنانُ فنُّ في الطبيعةِ قائمٌ** |  | **دقت محاسنه على الأفهامِ** |
| **متكبرٌ حتى على إكبارهم** |  | **متعظم حتى على الإعظامِ** |
| **قممٌ تُغطَّى بالسماء كأنها** |  | **الكون أمثلة على الإبهامِ** |
| **شُمُّ فوارع علَّمت أبناءها** |  | **عند الحوادث كيف رفع الهامِ؟** |
| **ومدارج تنبيك منحدارتها** |  | **أن الحياةَ مذاهبٌ ومرامى([[128]](#footnote-129))** |

يصور الرافعي جمال الطبيعة هناك، من خلال تلك الأيام التي قضاها في لبنان، الذي فتنته طبيعته الخلابة الساحرة، وجباله السامقة ومدارجها المنحدرة الواسعة، وكان يرى في كل هذا أملاً في الحياة.

ثم يقول بعد ذلك:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **جبلٌ إذا وصفوا الرواسي لم يكن** |  | **أبداً لصدر الأرض غير وسامِ** |
| **يا نفحة الجنَّات من تلك الرّبى** |  | **كم ذا يطولُ تلَّهفي وهُيامي؟** |
| **بيني وبينك بحر دمع يرتمي** |  | **من عين مهجور، وبرُّ خُصامِ** |
| **لهفي على ريحِ الشآم، ونظرة** |  | **من أرضها لهوى هنالك نامى([[129]](#footnote-130))** |

فالرافعي يصور لنا جبلاً من جبال لبنان العظيمة والجميلة أصبح وساماً يُعلق على صدر الأرض، وهو إحساس عالٍ بالجمال كعُلوِ ذلك الوسام حين يكون على صدر الأرض، وينادي الرافعي نفحة من نفحات الوادي، سائلاً إياها عن مدة دوام فراق الأحبة، ذارفاً الدموع الغزيرة، ثم يتلهف على ريحِ بلاد الشام، مهد حُبه الوليد.

ويرى الباحث ومن خلال ما تقدم، أنَّ الرافعي استطاع أن يوظف الجمال الحسي في حديثه عن المرأة والطبيعة والكون توظيفاً دقيقاً في أدبه من خلال اعتماده على جميع حواسه في وصف مظهر المرأة الخارجي، وصفاً في غاية الجمال، استطاع من خلال إبداعه أن ينقل لنا مشاعره وأحاسيسه تجاهها، فبدأت تأخذ في نفوسنا بُعداً جمالياً كبيراً، مما يدل على ذوقه الرفيع وحسه العميق بالجمال تجاه المرأة المحبوبة.

واستطاع الرافعي في وصفه الطبيعة والكون أن ينقلنا إلى عالم الجمال المحسوس، لنعيش معه تلك اللحظات التي قضاها في إبراز مظاهر الطبيعة

والكون، فهو يتقاسم معها أحاسيسه ومشاعره، كونها الطبيعة تارة، وكونها المرأة الحبيبة تارةً أخرى، واستطاع أن يمزج بين جمال المرأة وجمال الطبيعة والكون، في تصويره للجمال الحسي بصورة جميلة انبثقت من أعماقه خدمة للفكرة التي يريد إيصالها إلى المتلقي وإقناعه بها.

***المبحث الثاني***

***الجمال الروحي في أدب الرافعي***

***المطلب الأول: الحُب والجمال***

الجمال الذي أفاضه الله على الإنسان لا يقتصر على الجمال الحسي، بل أيضاً الجمال الروحي لأنه نابعٌ من النفس([[130]](#footnote-131)).

فجمال الروح "الجمال الباطن" هو الغاية، وهو يرتفع عن المادة والحس ليسمو إلى الرؤيا المطلقة للجمال الخالد الخالي من القُبح([[131]](#footnote-132)).

والرافعي يتذوق الجمال ذاته ويعترف بالقيمة الجمالية المطلقة، حين يتطلع الإنسان إلى عالم الروح الذي يتمثل فيه الجمال والكمال والخلود([[132]](#footnote-133)).

يرى الرافعي أنَّ الجمال الحسي يصل بنا إلى الجمال الروحي، إذ ليس كل ما تراه فتعجب به يرضيك، ولكن كل ما يرضيك يعجبك، فالجمال المحسوس الوصفي يقاس بالنظر ويخرج منه الفكر بنسبة هندسية، وهو جمال صحيح، ولكنه كالقصر المُشيد ظاهره وشكله الخارجي جميل، لكنّه لا يُرضي الفقير، والذي يرضي الإنسان الجمال الروحي، الذي يُعجب ويرضى به، كونه الجمال الحقيقي لا الخيال([[133]](#footnote-134)).

ولعلنا ندرك حقيقة الجمال عنده تتحدد في قوله: ((الجمال في حقيقته التي لا تختلف إنما هو معنى من المعاني الحبيبة، تعلقُ بالنفس فيحدث فكراً متمكناً تتطاوع له هذه النَّفس العاشقة))([[134]](#footnote-135)). فالنفوس هي التي تدرك الجمال([[135]](#footnote-136)).

إنَّ الجمال المعنوي له تأثير في نفس الأديب من خلال قيم الجمال، وكذلك فضائل الصفات والخصال التي أعزَّ الله بها المرأة وأعلى من شأنها([[136]](#footnote-137))، فالأديب يصف معطيات الجمال وما تركه الجمال من أثر في نفسه.

وعلم الجمال عنده يؤدي وظيفة مهمة وكبيرة فهو (علم تجديد النَّفس) لأنَّ الجميل الذي لا يجدد بمعانيه حواس الإنسان الآخر وعواطفه ويُعيدها غضة طرية كما فطرت من قبل لا يسمى جميلاً إلا على هذا المجاز([[137]](#footnote-138)).

ولاشك في أنَّ الجمال الذي ينشده الرافعي هو الجمال المعنوي وهو الأسمى والأرقى والابقى، فيقول: ((وما هذا الحب إلا فكر الجمال وأثر عمله في النَّفس))([[138]](#footnote-139)). فليس بجمال إلا ذلك الروح الذي يرفع النَّفس إلى أفق الحقيقة الجميلة، ثم ينفح فيها مثل القوة التي يدعها بعد ذلك تترامى بين أُفق وأفق([[139]](#footnote-140)). ويصبح الجمال له حقيقة هو علم أفراح النفس وأحزانها([[140]](#footnote-141)).

وكذلك يرى الرافعي في الجمال الروحي وظيفة لتهذيب النفس، وطريقاً يوصلنا إلى الجمال الحقيقي الذي ينبع من تلك القوة السماوية التي نسميها الجاذبية؛ فكأنَّ الله -على حد قول الرافعي- حين يُبدع الجميل يُرسل في دمه مع الذرة الإنسانية ذرة من مادة الكواكب، هي سر عشقه وجاذبيته وهي قوة للجميل بذاته([[141]](#footnote-142)).

وهذا الجمال الذي يُحدثنا عنه الرافعي، هو مثال الجمال الكامل الذي لا يقرّهُ إلا مثال الحُب الكامل([[142]](#footnote-143)).يرى الفيلسوف الفرنسي ديدرو أنَّ: ((الجمال الوحيد الذي يمكننا الاستمتاع به والتفاعل معه كوجود هو الجمال الذي ينبض فينا، لأنه وحده يُحررنا من جمال الأشياء الخارجية وقبحها، وكلما كانت الذات مصقولة بقيم إنسانية نبيلة، ازداد الإحساس بالقيم الجمالية السامية))([[143]](#footnote-144)).

فنظرة الرافعي إلى الجمال نقلته من الحسية إلى المثالية، والمرأة والطبيعة مصدران يستمد منهما موضوعي الحُب والجمال، ويقيم عليها فلسفته الجمالية، والجمال الحسي عنده يصل بالإنسان إلى الجمال الروحي، فتتحقق العبودية لله وحده([[144]](#footnote-145)). في حين أنَّ الجمال له قيمة خُلقية، ويتوافق مع الخير ومع المنفعة على هذا الأساس بحسب رأي الكلاسيكيين([[145]](#footnote-146))، فالأدب المثالي يتمثل عندهم بانتصار الحق على الباطل والخير على الشر والواجب على العاطفة والفضيلة على الرذيلة([[146]](#footnote-147)).

ويرى الكلاسيكيون أنَّ الجمال واحد لا يتغير في كل زمان ومكان والحقيقة لها قيمة في الجمال على أساس أن تكون ممتعة([[147]](#footnote-148))، وهم يتسامون عن الأمور المنحطة في الطبيعة؛ فما يعالجونه من موضوعات ينبغي أن يبعث في النفس إشراقاً، ويؤصل قيماً خلقية وقيماً جمالية على عكس ما أصّلته رؤيا (الرومانسيين) و (الواقعيين) فيما بعد([[148]](#footnote-149)).

ولقد آمن الرافعي بهذه المفاهيم في أدبه، كون المثالية ظاهرة كبيرة في أدبه. ولمعرفة الجمال يرى الرافعي ألا نسأل عنه من يُحسُّ الفكر والإبانة عنه، ولاسيّما إذا كان فكره فكراً مادياً وهو حقيقة عيشه في هذه الدنيا([[149]](#footnote-150))، فالفكر المبتذل يملأ العين بمشاهد الطبيعة عند عرض شيء أمامه، فيرى هذا الإنسان الشيء الجميل وكأنّه يُحدِّثُ عنه نفسه الخرساء بأصابع الأعمى الذي يتعرف الأشياء بلمسها، وعلى مقدار ما في الإنسان من هذا الفكر القبيح يكون مقدار قبح الطبيعة الجميلة في عينيه([[150]](#footnote-151)). فالرافعي نظرته للجمال من منظار ديني إسلامي فتتحقق عنده تلك المثالية.

والذي يتصفح أدب الرافعي سيجد أنه نظر إلى الجمال الروحي والحقيقي من خلال استيعابه لجمال كل ما يحس به، ويرجعه إلى الخالق سبحانه وتعالى، فلذلك وجدناه يستلهم كلاً من الحب والمرأة والطبيعة والأشياء الأخرى في الكون لتثبيت مفهومه للجمال الروحي لا لذاته، بل بقوة سماوية تعمل عملها لتبدع من الإنسانية شعراً أسمى من حقائقها([[151]](#footnote-152)).

ويرى الرافعي في الحب والمرأة الجمال الروحي الحقيقي الذي تبحث عنه النفس، لذلك انصرف بتأمله يبحث عن آثاره في نفسه ويلجأ إلى معانيه، إنما كان يدرك هذه الحقيقة في الإنسان، فأراد النظرة التنزيهية له، ليكون من ثم مادة الفطرة الإلهية التي فطر الناس عليها([[152]](#footnote-153)). وانطلاقاً من هذا آمن بأن نقاء الضمير، وطهارة النفس، هما ركيزتا الجمال المعنوي في الحياة لتحقق تلك النظرة الواقعية الإيجابية, والحب في مفهوم الرافعي طريق إلى الجمال الروحي، ووسيلة لالتماس الجمال الروحي لا الحسي، وقداسته في نفسه كبيرة، والحب عنده ((بعض الإيمان: وكما أن الطريق إلى الجنة من الإيمان بكل قوى النفس، فإنَّ الطريق إلى الحب من قوة لا تنقص عن الإيمان إلا قليلاً؛ والخطوة التي تقطع مسافة قصيرة إلى القلب، تقطع مسافة طويلة إلى السماء!))([[153]](#footnote-154)). وكان الرافعي عاشقاً من طراز فريد، يضع كرامته إلى جانب قلبه لا يفترق أحدهما عن الآخر([[154]](#footnote-155))، وخلفَّ لنا شعراً يفيض بالرقة والنقاء، فيقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **قلبي يحب وإنما** |  | **أخلاقه فيه ودينه([[155]](#footnote-156))** |

ولما كان القلب هو سر الجمال الإنساني، لأنّ فيه بركة النَّفس وزينتها وسكنها، فالبركة تنبت من الخُلق الطيب، والزينة تخرج من الفكر الجميل والسكن يثبت بالإيمان واليقين، وما جمال النفس الإنسانية إلا خلق وفكرة وفضيلة مؤمنة([[156]](#footnote-157)) فإدراك أي شكل من أشكال الروح إنما هو متاع الروح الإنسانية على طريقتها الأولى في عهدها الأول([[157]](#footnote-158)).

وحديث الرافعي عن موضوع الحب يقوده دوماً إلى الحديث عن موضوع الجمال، بوصفه منطلقه وغايته. ولا يتم الحب عند الرافعي إلا إذا تجاوزت نفسه ذاتها وحدودها، ونفذت إلى جمال الحبيب، الذي هو سر اكتشاف الحياة وتذوق الجمال والمعاني التي هي في الوجود.

وصورة الحبيب عنده تزداد جمالاً بنظرة الحب التي تتجاوز الجمال الظاهر للصورة ،فتؤثر في ذاته بما تطوره من إنسانية وبما تخلقه من قيم خالدة، تعمل على تطهير النفس والسمو بها([[158]](#footnote-159)).

ويرى الرافعي أنَّ الجمال ما هو إلا وسيلة إلى إدراك الجوهر، فإذا تعلق المحب بجمال الحبيبة، من غير أن يرى خصائص روحها، فما هذا بحب، ولو ذهبت بجمالها هذا بعقول الناس، وكانت في النساء كليلة البدر. فلا يمكن أن يسمى حُباً تعلق الإنسان بما يراه من لون وشكل وتركيب وتناسق وغيرها، مما يُظهر البشرية على أتمها وأحسنها في الشخص المحبوب، وهذه نظرة أغلب الناس كما يظنون، وما الحُب إلا التعلق بخصائص روح المحبوب وحده، فيبدو شخص المحبوب كأنه تمثال سماوي حامل لروح ذلك العاشق([[159]](#footnote-160)).

ويؤكد الرافعي هذا المعنى في النفوس عندما ينظر إلى الحب الذي يوصل الإنسان إلى الجمال الروحي من ناحية أخرى، فالحب عنده ((كالانتكاس نحو الطفولة من جهةٍ واحدة من جهات النفس))([[160]](#footnote-161)).

ولا يرى الرافعي بين حُب الابن لأُمه وحب العاشق لحبيبته فرقا إلا في النضج، إذ يقول: ((الطفلُ يرى في أمه البداية والنهاية لأن طفولته ستار بينه وبين ما وراءها، وكذلك العاشق يرى في حبيبته بداية ونهاية معاً، لأنّ حبه ستار بينه وبين ما عداه))([[161]](#footnote-162)).

وكان الرافعي يستوحي تلك المفاهيم من العلاقة الطيبة التي كانت تربطه بأمه المتوفاة، فمن روحها المرفرفة في الأجواء يستنبط معاني الجمال الروحي الوافرة. وينقل ذلك المفهوم للحُب والجمال إلى أدبه، فيربط بين هذه الطفولة والحب الصحيح، فيقول: ((فلم يكن الحب الصحيح في أسمى مظاهره إلا حُب المرأة لبني بطنها، وإنمّا يسمى غرام العاشقين حُباً، لأنَّ في العاشق دائماً مع حبيبته أصغر معاني الأمومة))([[162]](#footnote-163)). فهذا الحب الصحيح الذي يقصده الرافعي يمر بالإنسان في روح وريحان على طريق من لذة النفس التي لا تنتهي.

ويغدو الإنسان في تلك اللذات الروحية طفلاً لا يكبر ما دام في عُمر الحُب([[163]](#footnote-164))، فلذلك يرتقى الحُب الروحي الصحيح في نظر الرافعي ليوحد به بين حُب الابن لأمه، وحب العاشق لحبيبته، فلا يرى بينهما فرقاً إلا في المستوى؛ فنجده يقول: ((والحب الروحي الصحيح إنما هو كالطفولة لا تعرف وجه الفتى إلا شبيهاً بوجه الفتاة، فيه تذكير وتأنيث، بل حالة متشابهة كاخضرار الشجر تبعث عليها الحياة حين لا يجيء الحسُ فيها إلا من جهة القلب))([[164]](#footnote-165)).

ولاشك في أن تعلق الرافعي بأمه، نابع من التزامه بأوامر الشرائع الدينية التي تأمر ببر الوالدين، ويؤكد الأستاذ محمد سعيد العريان تلك العلاقة فكانت أمه تحبه وتؤثره، وكان يطيعها ويبرها؛ فقد ظل إلى أيامه الأخيرة إذا ذكرها تغرغرت عيناه كأنه فقدها بالأمس، وكان دائماً يُحب أن يسند إليها الفضل فيما آل إليه أمره([[165]](#footnote-166)). وفي هذا النص للعريان بحسب رأي الدكتور مصطفى الجوزو نعتقد بأن الرافعي مصاب بعقدة أوديب، التي ذكرها فرويد، كونه يعتقد بأنَّ روحها في السماء وأنَّ عليه طاعتها بما يقرب من العبادة، كونه تكلم على حبيب لا يُلمس بل يفكر فيه من بعيد كأنه حُب محرم. ولكن ليس الذي أتى به فرويد حقيقة مسلماً بها كون مجتمعنا يختلف عن باقي المجتمعات والرافعي مُحقٌ في ذلك([[166]](#footnote-167)).

ويتضح مفهوم الرافعي للجمال الروحي من خلال مثالٍ يُقدمه لنا، يبين حقيقة الحب إذ يقول: ((فمن أحبَّ ورأى حبيبته من فرط إجلاله إياها كأنها خيال ملك، يتمثل له في حُلمٍ من أحلام الجنة، ورأى في عينيها صفاء الشريعة السماوية، وفي خدَّيها توقد الفكر الإلهي العظيم، وعلى شفتيها احمرار الشفق الذي يُخيل للعاشق دائماً أنَّ شمس روحه تكاد تُمسي...، ورآها في جملة الجمال تمثال الفن الإلهي الخالد الذي يُدرس بالفكر والتأمل لا بالحس والتلمسُّ، فأطاعها كأنها إرادته واستند إليها كأنها قوته، وعاش بها كأنها روحه– فذلك هو الذي يشعر بحقيقة الحب ويفهم معناه السماوي))([[167]](#footnote-168)).

وهذا ما جعل الرافعي ينعت الحب بالعبودية، ويجعله مبدأ العبودية الصحيحة لله([[168]](#footnote-169))، والتي هي عبودية الجمال.

ولم يقف الرافعي عند الجمال الحسي، بل جعل إحساسه به منطلقاً إلى الجمال الروحي، فقال:

((وعندما أبصرك أنت أوقن أنَّ الحُسن المعشوق ما هو إلا خيال الجنَّة الأخروية يناله من الدنيا إنسان في إنسان!))([[169]](#footnote-170)).

وقال أيضاً:

((وعلى ذلك النبع الأحمر الصغير، نبع الياقوت المنفجر دائماً بابتسام شفتيك، وجعلتني من وحي جمالك المتنزل على قلبي أشعر أنَّ هذا الجمال السماوي أنشأ في صفة ملائكية ترفعني فوق إنسانيتي))([[170]](#footnote-171)).

ولقد تَطّلعَ الرافعي إلى ألوان الجمال كلها في المرأة، فلا غرابة أن يقرن جمالها الخَلْقي بجمالها الخُلقُي، ويعبر عن جمالها الروحي، فيمزج بين الإثنين بمعانٍ أخرى من الجمال النفسي والفكري. فكان يرى الحُب في جمال حواء ودموعها والدين في تقوى آدم([[171]](#footnote-172)).

يقف الجمال المعنوي مختفياً وراء الحواس، ولإدراكه لابد من حس جمالي مرهف قادر على تحسسه واستشفافه من خلال الروح، فالجمال المعنوي يُدرك بالبصيرة([[172]](#footnote-173)).

لذلك رأى الرافعي في حبيبته الأولى "عصفورة" ذلك المفهوم، فهو يرى في حبها الحياة بعد الموت، فيقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **لي فيك عصفورة لو أنها انطلقت** |  | **رأيتُ كيف يعاد الميت الفاني([[173]](#footnote-174))** |

وكان لانعكاسات هذا الحُب والجمال على نفسه، أن صار الجمال برأيه حكمة خلقها الله ليذكرنا باليوم الآخر، فنجده يقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **خلق الله الجمالَ حكمة** |  | **تُذكِّر الناس نعيم الآخرة** |
| **كل عينٍ سهرت فيه ولم** |  | **تكُ من قبل الهوى (بالسَّاهرة)([[174]](#footnote-175))** |

ويرى أنّ في حب (مي زيادة) وهي المرأة الثانية في حياته، لغةً من وحي السماء، ويؤمن مثلما آمن من قبله ابن سينا أنَّ لهذا الحُب صلةً بالعقل، فيقول:

((ورسائل أوراق الورد هذه تطارحها شاعر فيلسوف روحاني، وشاعرة فيلسوفة روحانية، كلاهما يُحبُ صاحبه- كما يقول الفيلسوف ابن سينا- باعتبار عقلي...))([[175]](#footnote-176)).

لقد كانت في نظره مثالاً للجمال بكل ما تحمله وتملكه من صفات جمالية توحي له بذلك، فهي تريد كما يقول عنها: ((أن تجمع إلى صفاء وجهها وإشراق خديها وخلابتها وسحرها صفاء اللفظ وإشراق المعنى وحُسن المعرض وجمال العبارة، هذا هو الحُب عندها، تحبك كما تُحبُ كلمة تكتبها، أو معنى تتخيله، فإذا سئمتك لم تكن عندها إلا الثالثة.. إلا صحيفة تمزقها))([[176]](#footnote-177)). وهي في الوقت نفسه أديبة وشاعرة تغمرُ أُفقاً واسعاً بأشعة خيالها، ولو أنَّ نجمة سألت الله أن يخلقها امرأة، فتنزل على الشعراء بوحي السماء وخيال السماء وأسراره، لكانت صورتها([[177]](#footnote-178)).

وكانت "مي زيادة" تلهمه الحب والفكر والجمال والتأمل بحسب رأي الأستاذ عبد السلام هاشم حافظ، وكانت في نظر الرافعي صاحبة حديث القمر، وجعلته يكتب بعد ذلك "رسائل الأحزان" بعد الفراق الذي حدث بينهما، ليصف حاله الذي وصل إليه نتيجة الحب الذي دار بينهما، ثم ألفَّ بعد ذلك "السحاب الأحمر و "أوراق الورد"، معتمداً بذلك على الخيال والحُب([[178]](#footnote-179))، أو على حد قول الرافعي: ((إنَّ فيها شيئين هما الفكر والجمال، وفيَّ شيئان هما الخيال والحُب، وهذه الأربعة تُنشئها في نفسي خلقا بديعا لم أره لامرأة قط، ففيها وحدها زيادة على النساء، لأنَّ فيها وحدها نفسي!))([[179]](#footnote-180)).

وجد الرافعي في "مي" الأديبة فاتنة امتلكت قلبه وأحاسيسه، وروحاً ساحراً وطائفاً عجيباً استحوذ على كل مشاعره، حتى جعله يتقد في كبريائه ويثور ويهجر حتى أجواء الحبيبة وديارها، وهي في نظره أفضل من بعض الرجال([[180]](#footnote-181)). وكان يرى صورتها نافذة سحرية تفتح بينه وبين عالم الجمال الأزلي، فتصبح بنظره حورية من حور الجنة([[181]](#footnote-182)).

فكان الرافعي يرى في وجهها من النور والصفاء ما جعلها في نظره صافية نقية مثل مرآة المرصد السماوي، ولم تكن "هي" أولى حبائبه ولكنها آخر من أحب([[182]](#footnote-183)).

وكان الرافعي يحبها حباً عنيفاً جارفاً لا يقف في سبيله شيء، ولكنه حب ليس من حب الناس، حب فوق الشهوات وفوق الغايات، لأنه ليس له مدى ولا غاية. كونه يلتمس في هذا الحُب ينبوع الشعر وصفاء الروح([[183]](#footnote-184))، يقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **حسناء، خالقها أتمَّ جمالها** |  | **سألته مُعجزة الهوى فأنالها** |
| **لما حباها الله (جلّ جلاله)** |  | **بالحُسنِ منفرداً، أجل جلالها([[184]](#footnote-185))** |

وكان هذا الحب الذي دار بينهما، يتحقق فيه الجمال الحقيقي والروحي والمعنوي الخالد، فكان حديثهما كلما التقيا فنوناً من الشعر والحكمة وشذرات من فلسفة الحب والجمال، وقليلاً من لغة العشاق في همس من لغة العيون([[185]](#footnote-186)).

وبذلك تتحقق معاني الحب والجمال في ذلك الحب، فيقترب الحب عند الرافعي من العبادة([[186]](#footnote-187))، إذ لا تقل قوته عن قوة الإيمان إلا قليلاً، والفرقُ بينهما أنّ الخطوة قصيرة إلى القلب طويلة إلى السماء([[187]](#footnote-188))، فالحبُ يجعل كلَّ سهلٍ واضح في الأشياء غامضاً مُعقداً في النفس، وهذا هو سرّه، وبهذا يرتفع بالإنسانية، ويجنح إلى التأله([[188]](#footnote-189)).

ومن هنا جاء تعريف الرافعي للحُب بَأنه ((قدرة إنسان على قلب إنسان، فهو من ثم قدرة على الكون المتصل بالعاشق، وهو بهذه القُدرة أشبه بألوهية، لو ساغ في الظن أن توجد إلوهية عاجزة عن كل شيء ،إلا عن التصرف في مخلوقٍ واحد))([[189]](#footnote-190)).

فالحُب يتأله بنظر الرافعي، وهذا التأله هو التأثير بين شخصين فقط للعودة إلى الجوهر الأول. وهذا ما يدل على أنّ الرافعي يُعطي الإنسان بُعداً معرفياً فلسفياً عن طريق القوى الإلهية الكامنة فيه، تبعاً لعقيدته الدينية.

ويرتقي الرافعي بذلك الحُب فيجعله قريباً من النبوة، فلما كانت لغة الحُب وحياً سماوياً، كأنها صلصلة الملك الذي يفاجىء الأنبياء أول العهد بالرسالة([[190]](#footnote-191))، والنبوة التي يقصدها الرافعي نبوتان: ((فإحداهما بالنفس العظيمة في الأنبياء، والأخرى بالقلب الرقيق في العاشق))([[191]](#footnote-192)).

والعشق نبوة صغيرة، والحُب قريب من العبادة، ما دام هذا الحُب هو تجلي نفسٍ في نفس، وذلك الحب يشبه ديناً يُعبد فيه الجسم الجسم، فالمعشوق حالة نفسية متألهة معبودة، والعاشق حالة أخرى متولهة عابدة([[192]](#footnote-193)).

وهكذا تصبح العبودية للمرأة المحبوبة أول الطريق إلى الله، وكأنّ المحبوبة كائن إلهي أرقى من الإنسان، وكما جعل العشق نبوة صغيرة، جعل الشاعر والأديب برتبة الأنبياء([[193]](#footnote-194)).

ورأى الرافعي أنّ نبوة الشاعر نبوة جمال([[194]](#footnote-195)). والشعراء هم أنبياء الجمال([[195]](#footnote-196)).

فالمحبة الإنسانية وسيلة إلى المحبة الإلهية، والمرأة مصدر إلهام ومحرض جمالي، يصوغها، وكما يُحب إنسان بروح الشهوة، يُحب إنسان آخر بروح العبادة([[196]](#footnote-197)).

إنَّ موقف الرافعي من الحُب والجمال موقف فكري صوفي، كونه يرى أنَّ الحُب يوصلنا إلى الله عز وجل، وإلى محبة الله تعالى، وهذا الحب الصادق من شأنه تطهير النفس، ثم يتحول الحب بعد ذلك إلى أعلى مراتب الإحسان([[197]](#footnote-198))، كونه أعلى مراتب العبادة، ليتحول بعد ذلك إلى التطهير الأخلاقي، وتتحول هذه الفكرة عبر التحول والانعزال إلى التوحد بالمحب والعبودية له، وهي مرحلة من طبيعة الحب، كما هي من طبيعة الدين. وحب الرافعي على صلة بالدين والصوفية والخيال واللغة([[198]](#footnote-199)).

لذلك فالجمال الروحي في أدب الرافعي لا يكتفي بالمشاهد الحسية في عالم المرأة والطبيعة، وهذا ما تفرضه علينا سيرة الرافعي ونشأته الدينية([[199]](#footnote-200))،وكان الرافعي يتردد على مسجد السيد البدوي،الذي له منزلة سامية في نفوس أل الرافعي، وظل يتردد عليه حتى في كبر سنه، وله في ذلك كما يخبر عنه محمد سعيد العريان مدائح وتوسلات شعرية كثيرة، وكان الرافعي يجلس دائماً تحت قبة المسجد لساعات طويلة يتفكر بمعاني الحب الإلهي([[200]](#footnote-201)).

ذاق الرافعي كأس الهوى، فعرف الحب والحب الروحي أسمى عنده، فأصبح يتحدث حديث النفس التي سئمت من هذا العالم السفلي، بكل ما فيه من مظاهر الحسّ ومشاهدة الفتنة.

هذا هو إيمان الرافعي بالحُب: الحب القدسي حيث لا ريبة ولا إسفاف ولا مجون، لذلك تقترب رؤى الرافعي من رؤى ابن الفارض، في نظرته إلى الجمال الروحي في عالم الروح، والمحسوسات الجميلة وإيحاءاتها على النفس الإنسانية وما تحمله من دلالات وجدانية جميلة، وقد قال ابن الفارض:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **فيا أيُّها النفس التي قد تحجبتْ** |  | **بذاتي وفيها بدرُها لي طالعُ** |
| **لئن كنتِ ليلى إنّ قلبَي عامٌر** |  | **بحّبكِ مجنونٌ بوصلِك طامعُ** |
| **رأى نسخةَ الحُسن البديع بذاتهِ** |  | **تلوحُ فلا شيء سواها يُطاِلعُ** |
| **فيا قلب شاهدْ حُسنَها وجمَالهَا** |  | **ففيها لأسرارِ الجمالِ ودائعُ** |
| **تنقّلْ إلى حقِّ اليقينِ تَنّزهاً** |  | **عنِ النقلِ والعقلِ الذي هوَ قاطعُ([[201]](#footnote-202))** |

الحُب في نظر الرافعي شيء آخر غير الحب الذي يفهمه كثير من معاصريه، فالحب عنده هو حيلة النفس إلى السمو والإشراف والوصول إلى الشاطئ المجهول، هو نافذة تطل منها البشرية على غاياتها العُليا، وآمالها في الإنسانية السامية. الحُب إحدى كلمتين هما ميراث الإنسانية، وهدية التأريخ، والطرفان اللذان تلتقي عندهما السماء بالأرض([[202]](#footnote-203)).

ويرى الدكتور عبد العزيز المقالح أنَّ الرافعي استطاع أن يجسّد شخصيته الرومانتيكية في عموم ما كتب، وفي الشعر الموزون وفي النثر الشعري بخاصة. وقد ساعدته في ذلك العزلة التي فرضتها عليها عاهة الصمم، وميل فطري نحو العالم الروحي والمثالي، وما ينشأ عن ذلك الميل من إشادة بالعاطفة وتمجيد للوجدان. ولقد وضعت تلك الرومانتيكية الرافعي في طليعة تيار أدبي ثالث يقف وسطاً بين تيار المحافظين والمجددين، وكان حريصاً في إبداعه الأدبي على الالتزام بمنطق العصر من جهة والالتزام بالمضامين الإنسانية والقيم الجمالية من جهةٍ أخرى([[203]](#footnote-204))

***المطلب الثاني***

***الجمال والمجتمع***

جعل الرافعي في أثناء بحثه في معاني الجمال الروحي والمعنوي النساء صنفين: صنفاً يفهم ثم يعلو في معانيه الجميلة إلى أن يمتنع، وصنفاً آخر يفهم، لكنه يسفل في معانيه الخسيسة إلى أن يبتذل([[204]](#footnote-205)).

وجعل الرافعي في جمال المرأة ما يُحبُّ إلى أن يلتحق بالإيمان، وشيئاً مكروهاً يلتحق بالكفر، وشيئاً لذيذاً يؤكل فلا يشبع منه، وشيئاً مُراً كريهاً يشبع منه بلا أكل([[205]](#footnote-206)).

ويرى الدكتور مصطفى الجوزو أنّ الرافعي قد تناول المرأة في أدبه بأسلوبين، أسلوب الشاعر الذي يتكلم على المرأة الجميلة المعشوقة كلام إعجاب وتقديس في أكثره، وأسلوب الواعظ المُتدين الذي يتكلم على المرأة كعنصر من عناصر المجتمع([[206]](#footnote-207)).

ويتطرق الرافعي إلى مسألة القُبح والجمال، ويرجع ذلك إلى حكمة الله في خلقه، مساوياً بينهما، فنجده يقول: ((إنه القلم الإلهي المُبدع الحكيم هو الذي صّور ولوّن وافتتنّ ما شاء؛ فإن رزقت امرأة جلدة جميلة مُشرقة كأنّما تجري فيها الشمس، وألُبِسَتْ أخرى جلدة قبيحة سفعاء([[207]](#footnote-208)) تجول فيها رهبة الظلمة، فكلتاهما صورة من صنع الله، وكلتاهما تظهر لوناً من ألوان الحكمة، وكلتاهما جاءت لمعنى))([[208]](#footnote-209)). والجميلات والقبيحات في نظره كُلهُنّ متساويات في هذه الإنسانية، لكنهنّ يتفاوتن في أسباب الشقاء الإنساني الذي يبتلي الرجل بالمرأة، ويمتحن المرأة بالرجل([[209]](#footnote-210)).

ويرى الرافعي أنَّ الرجل حين يسمو إلى الغاية العليا من كماله، يستطيع أن يرى المرأة الجميلة الفاتنة في نصف المرأة القبيحة، وبأنَّ الدميمة مهيأة لمعالي الأخلاق والجميلة مهيأة لسفسافها، وبأنَّ بعض طباع الجميلة ونزعاتها شر من جمال وجهها، في حين أنّ أكثر طباع القبيحة وصفاتها خيرٌ مما قصَّر بها من حسن صورتها([[210]](#footnote-211)).

ويعالج الرافعي في أدبه جُملة من القضايا الاجتماعية التي تخص المرأة، والتي قد تقود المرأة الجميلة الحسناء إلى الانحطاط والانحراف. ويرى أنّ (الدين

وحَده هو الذي يُصلح النوع، بتحقيق الفضيلة وتقرير الغاية الأخلاقية، وهو الذي يحاجز بين الغريزتين، وهو الذي يضع القوة الروحية في طبيعة المتعلم، فإن كانت طبيعة التعليم قوية كانت الروحية زيادة في القوة، وإن كانت ضعيفة كما هي الحال في هذه المدينة، لم تجمع القوة الروحية على المتعلم ضعفين , يبتلي كلاهما الآخر ويزيده)([[211]](#footnote-212)).

ويحسُ الرافعي إحساس المصلح الذي يرى مكمن الداء ويعرف الدواء، فيعالج أموراً عدة، يراها هو تؤدي بالمرأة نحو الهاوية، ففي مسلسل الطائشة تحدث الرافعي في عدد من المقالات عن قصة فتاة طائشة لاتعير أهمية للحجاب وتسفر بوجهها،فيتغير وجهها وتتولد عندها وقاحة في الكلام وخشونة في التعامل، فتكون صفاتها وأخلاقها مما يستنكره المجتمع، فنجده يقول: ((ولها طبع شديد الطرب للحياة، مسترسل في مرحه خفيف طيّاش لو أثقلته بجبلٍ لخفَّ بالجبل، تحسبها دائماً سكرى تتمايل من طربها، كأنّ أفكارها المرحة هي في رأسها أفكار وفي دمها خمر))([[212]](#footnote-213)).

فتتحول تلك المرأة الجميلة بطيشها إلى امرأة قبيحة الأخلاق والصفات، كونها تقبل بالتحرر، ثم يرد على تلك الدعوات ويسخر منها كونها الحرية المفتعلة للمرأة، حين يرى أنها في ظل تلك الحرية المزعومة سوف تنصرف عن وظيفتها الطبيعية وهي الأمومة.

ويؤكد الدكتور علي عبد الحليم محمود موقف الرافعي من قضية المرأة في أدبه، من خلال قصة الطائشة التي وردت في "وحي القلم" وإنه ناقش من خلالها كل القضايا التي تخص جمال المرأة في المجتمع العربي الإسلامي، وأرجع أسباب تحرر المرأة وخروجها عن العادات والتقاليد إلى غفلة الحكومات عن معنى الدين وحقيقته، وإلى الحضارة الأوربية التي أغرقت قُصّار النظر المتهافتين على كل جديدٍ ودعتهم إلى أن يخلعوا عنهم دينهم وأخلاقهم بحجة أنّها القديم البالي، ثم يحسُّ بعد ذلك إحساس المسلم الغيور على دينه بأنّ الحضارة الأوربية حربٌ على الدين والأخلاق([[213]](#footnote-214)). فيتساءل الرافعي: ((هل تملك الفتاة عرضها أو لا تملك؟ هذه هي المسألة... وهل كان عبثاً أن يفرض الدين في الزواج شروطاً وحقوقاً للرجل والمرأة والنسل؟ ولكن أين الدِّين؟ وا أسفاه! لقد مدّنوه هو أيضاً...!))([[214]](#footnote-215)).

دعا الرافعي المرأة إلى المحافظة على حقائق الجمال مثل العفة والحياء والصبر والنقاب والبرقع، كونها من التقاليد والدين، وحذر من أن تكون تلك المرأة الجميلة، طائشة فتطيش طيشة كبرى، إذا تخلت عن الحجاب وأصبحت سافرة مكشوفة الوجه، يعابها المجتمع وإن كانت فائقة الجمال. ويتساءل الرافعي أيضاً ما هي المرأة بدون تقاليد...؟ فيجيب قائلاً: ((إنّها البلاد الجميلة بغير جيش، إنّها الكنز المخبوء مُعرّضاً لأعين اللصوص، تحوطُه الغفلة، لا المراقبة))([[215]](#footnote-216)).

فالجمال الحقيقي للنفس هو الجمال المعنوي الداخلي، لذا فمحبة الجمال الظاهر تولد ألماً محضاً لأنه ليس خالداً، أما محبة الأمور المعنوية فخالدة وخالية من الألم([[216]](#footnote-217)).

وأراد الرافعي لأبناء جيله تلك التربية اللؤلؤية، فهو يريد منهم المحافظة على تلك القيم والمفاهيم، لذلك يركز على مفاهيم الحجاب للمرأة ويرى بأنه يحمل معاني عدة، فيقول: ((وما هو الحجاب إلا حفظ روحانية المرأة للمرأة، واغلاء سعرها في الاجتماع وصونها من التبذل الممقوت، لضبطها في حدودٍ كحدود الريح من هذا القانون الصارم، قانون العَرْض، والطّلب، والارتفاع بها أن تكون سلعةً بائرةً يُنادى عليها في مدارج الطرق، والأسواق: العيون الكحيلة، الخدود الوردية، الشّفاهُ الياقوتية، الثغور اللؤلؤية، النهود))([[217]](#footnote-218)).

ولقد سعى الرافعي إلى ترسيخ معايير محددة للجمال الروحي تزيد المرأة جمالاً، فدعاها إلى أن تقرن جمال شكلها بجمال الخلق والدين، الجمال المعنوي الذي هو جزء من إطار الجمال العام للمرأة، ثم إن الجانب المعنوي مكمل لشخصية المرأة وهو جزء لا يتجزأ من شخصيتها، فالجانبان يكمل أحدهما الآخر، فإنَّ (خير النساء من كانت على جمال وجهها، في أخلاقِ كجمالِ وجهها، وكان عقلها جمالاً ثالثاً)([[218]](#footnote-219)).

ولم يخلُ شعر الرافعي من البحث عن الصفات المعنوية والجمال الروحي وقيم الجمال الأخلاقية، التي تزيد من جمال المرأة مثل الخُلق الطيب، والنفس الرضية، والذكاء والعفاف، وصدق اللسان، وسعة الصدر، ورقة الروح وصفاء النفس، أبرز تلك القيم والصفات الجمالية، وغيرها من المزايا الروحية التي تغمر صاحبها بهالة من الروعة والفتنة، لا يعادلها أي جمال جسدي، فقال:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **رأيتُ نساءَ الزمانِ كثاراً** |  | **وحسبك واحدةً في الزمانْ** |
| **فإن رمتها فالتمس وصفها** |  | **فقد مُيزت بصفاتٍ ثمانْ** |
| **بوجه الجمال ورأس الذكاء** |  | **وعين العفاف وصدق اللسانْ** |
| **وقلب المُحب وصدر الصبور** |  | **ونفس الكمال ودمّ الحنانْ** |
| **وتلك هي السعد من نالها** |  | **فقد صار من بيته في الجنانْ([[219]](#footnote-220))** |

وهذه المرأة الفاتنة التي ارتضت أن تكون سلعة رخيصة تُباع وتشترى، الجميلة البائسة، فقدت الحياء والكرامة، وسمّو الروح، وغيرها([[220]](#footnote-221))، فهي تطالع نفسها بالمرآة: ((فلا تُعنى بأن تظهر جميلةً كالمرأة، بل مثمرة كالتاجر.. وتكسُّبها بجمالها يكون أوّل ما تفكر فيه؛ ومن ذلك لا يكون سرورها بذلك الجمال إلّاعلى قدر ما تكسب منه، بخلاف الطبع في المرأة، فإنَّ سرورها بمسحة الجمال عليها هو أوَّلُ فكرِها، وآخره))([[221]](#footnote-222)).

والمرأة من هذا النمط بنظر الرافعي سيكون في نفسها الندم والحسرة، وإغراؤها جريمة لجسمها، وفنِّها رذيلة في جمالها، كونه هو الفتنة وروح الفتنة، وهي بهذا كله، هي الشقاء، وروح الشقاء([[222]](#footnote-223))، ويبقى المجتمع ينبذها إلى أن تموت. وتلك المرأة وأمثالها تتحول إلى الربيطة([[223]](#footnote-224))، المرأة الساقطة يائسة من الزواج، وذلك عقاب حياتها([[224]](#footnote-225)).

القيم الجمالية للحب والجمال عند الرافعي هي قيم دينية أخلاقية، والفضيلة أكبر تلك القيم في نظر الرافعي، فهي النفس ذاتها وهي الزمن كله وهي الجمال الحقيقي للنفس: ((وذلك الجمال هو قوةٌ من جاذبية الأرض في مُدَّتها القصيرة، ولكنّ الفضيلة جاذبية السّماء في خلودها الأبدي))([[225]](#footnote-226)).

ويؤكد الدكتور مصطفى الشكعة أنّ الرافعي أصيل الفكرة في ميدان الإصلاح الاجتماعي، المستمد من استقامة تفكيره، المنطلق من ثقافة دينية، ربطت في سماحة ويسر بين السلوك الاجتماعي والأدب الديني، ولقد دافع بكتاباته عن اللغة وتصدى لمن يريد أن ينال من عاداتنا وقيمنا الموروثة عن السلف، وكذلك أظهر الرافعي في مقالاته "الطائشة" و "قصة زواج وفلسفة مهر" و "الجمال البائس" صوراً جميلة للجمال الحقيقي، وفيها إشارات واضحة إلى مصلح اجتماعي من طراز فريد يختلف عن كتاب عصره([[226]](#footnote-227)).

وبتلك المفاهيم في جمال الأدب والأخلاق تعامل الرافعي مع أبنائه، فكتب شعراً كي يثبت تلك المفاهيم في أبنائه، ويظهر فيها مبلغ السّمو النفسي في الأداء، فعاش لأبنائه أباً كريماً، ومربياً فاضلاً، ومعلماً داعياً، ينشدهم من هتاف الخواطر ونداء العواطف، لكي يتعلقوا بالقيم والشعارات الاعتقادية. ولقد ذاب الرافعي وجداً بالطفولة، كما يذكر لنا الأستاذ مصطفى نعمان البدري، فكتب قصيدة لعلها في ابنته (زينب) الأثيرة لديه ،فيقول فيها:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **ألا يا حبة الحُب** |  | **ويا إنسانة الإنس** |
| **وروح القلب في القلب** |  | **ومعنى النفس في النفس** |
| **وثغر اللؤلؤ الرطب** |  | **ولحظ الماس في الشمس** |
| **يعيشُ الحُسنُ في شكلك** |  | **فما أحلى، وما أحلى([[227]](#footnote-228))** |

واستطاع الرافعي الشاعر المربي أن يغرس الدرس الأخلاقي، ويُعلي القيم المعنوية، على القيم المادية، ويرى الجمال الحقيقي في عمل الإنسان وخلقه قبل أي شيء آخر، وأن يزن الأشياء بميزان الإسلام ويرى الإنسان والكون والحياة من ذلك التصور**([[228]](#footnote-229))**:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **فكوني دائماً حُسناً** |  | **بأعمالك في الناس** |
| **ومن أخلاقك الحُسنى** |  | **أضيىء ضوء نبراس** |
| **على الألماس ما أثنى** |  | **كهذا النور في الماس** |
| **ومن فضلك من فضلك** |  | **أرينا المرأة الفُضلى([[229]](#footnote-230))** |

ولم يكتفِ الرافعي بتثبيت تلك القيم والمفاهيم، التي تدل على الجمال المعنوي الخالد، بل تعداه إلى أبناء جيله والأجيال اللاحقة، فأنشد في حب مصر نشيد "بنت النيل"، يقول فيه:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **وادينا وادينا** |  | **كصفو النّدى** |
| **يهدينا يهدينا** |  | **طباع الهـدى** |
| **نرضيك نرضيك** |  | **يا مصرَ المنى** |
| **نفديك نفديك** |  | **أيا أُمنَّــــا** |
| **اللازمة** | | |
| **من مثل بنت النيل** |  | **في طبعها الكريم** |
| **وصبرها الجميل** |  | **في العملِ العظيم([[230]](#footnote-231))** |

وجدنا في أغلب أناشيد الرافعي التعليمية والتربوية تأكيده على الصلة الحميمة بين العلم والخلق والدين**([[231]](#footnote-232))**، إذ يقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **بالعلم والثبات** |  | **وبالهدى والدين** |
| **وكلُّ آتٍ آتي** |  | **يا ربَّنا آمين([[232]](#footnote-233))** |

وجدنا حقيقة (الدين) ارتبطت في أدب الرافعي (بالعلم) و (الروح)، يقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **ولولا (الدين) لم تَسْكُنْ نفوسٌ** |  | **على غيّ الحياةِ إلى الوَثابِ** |
| **ولولا (الدين) كانت كل نفسِ** |  | **كمثل الوحش تسكُن للوثابِ** |
| **رأيتُ الدين والأرواح فينا** |  | **كما صَحِبَ الغريبْ أخا اغترابِ** |
| **فلا روحٌ بلا دينٍ ومنْ ذا** |  | **رأى راحاً تُصَبُّ بلا حُباب([[233]](#footnote-234))** |

أينما ذكرت الأخلاق في أدب الرافعي ذكر معها الدين إذ ((لا أخلاق بغير الدين الذي هو عمادها))([[234]](#footnote-235)). والحق هو الدين، كونه يعطي أهمية لكرامة الأمة فيحث على الدفاع عنها، ويتدخل في كل شؤون الحياة فيقومها ويعدلها، فيقول:

((إذا كان لابد للأمة في نهضتها من أن تتغير، فإن رجوعنا إلى الأخلاق الإسلامية الكريمة أعظم ما يصلح لنا من التغير وما نصلح به منه))([[235]](#footnote-236)).

والخير في أدب الرافعي هو (الفضيلة)، وهي ضد (الرذيلة)، والرافعي يرى أنَّه متى ((سلمت الحياة من تعقيد الخيال الفاسد لم يكن بين الإنسان وبين الله إلا حياة هي الحق والخير، ولم يكن بينه وبين الناس إلا حياة هي الرحمة والحب))([[236]](#footnote-237)).

ومن هنا يتبين لنا أن مصدر الأخلاق هو الدين ومصدر الجمال المعنوي هو النفس البشرية السوية، فمنها يصدر الجمال فتمثله الأفعال الإنسانية، وفيها تستقبل الصور المعنوية والروحية، فتزنها وتحولها إلى الجمال الحقيقي للنفس الإنسانية الذي ناشد به الرافعي.

***المطلب الثالث***

***الروح والطبيعة***

يرى الرافعي أن كل ما في الطبيعة جميل، وعلى الإنسان أن يتوسع في فهمه للجمال، بقدر معين يستطيع من خلاله فهم الجمال الحقيقي للأشياء الماثلة في الطبيعة([[237]](#footnote-238)).

والغاية من الجمال الروحي والمعنوي للطبيعة إدراك قيمة الجمال الذي يلازم إدراك قيمة الخير، لأنّ الخير بعض جمال النفس، فليس في الكون إلا الحب والجمال والخير إذا سقطت الشهوات([[238]](#footnote-239)).

والرافعي يُقرُّ بأنّ إدراكَ الجمال الطبيعي مسألة فطرية موجودة في الإنسان، كون هذا الإدراك بقيةً فينا من نفسية آدم الكبير ورثناها عنه([[239]](#footnote-240)).

فجمال الطبيعة الفتان يجعل العين ترى كل شيء تصادفه جميلاً، فترتوي منه النفوس ويخلق منه الحب والخير([[240]](#footnote-241)).

وجدنا الرافعي يدعونا، إلى أن ننظر إلى داخل أنفسنا لنشاهد جمال الطبيعة والكون، حتى ندرك روعة الجمال في الطبيعة، وأن نجعل النفس قريبةً من طفولتها – مرح الطفولة- ولعبها وهذيانها([[241]](#footnote-242)).

فهذه دعوة لوجوب انطلاق نظرة الإنسان إلى العالم الخارجي مما في روحه من جمال، يقول الرافعي مجسداً هذه الدعوة: ((في جمال النفس يكون كل شيء جميلاً؛ إذ تُلقي النفس عليه من ألوانها فتنقلب الدار الصغيرة قصراً؛ لأنَّها في سعةِ النِّفس، لا في مساحتها هي، وتعرف لنور النَّهار عُذوبة كعذوبة الماء على الظَّمأ، ويظهر الليلُ كأنَّه معرض جواهر أقيم للحور العين في السموات، ويبدو الفجر بألوانه وأنواره، ونسماته كأنه جنةٌ سابحةٌ في الهواء))([[242]](#footnote-243)).

وبذلك يُثبت الرافعي في أذهاننا قاعدة عامة في مفهومه للجمال الروحي، وكأنّها أقرب إلى ما ذهب إليه إيليا أبو ماضي، في قوله:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **أيُّهذا الشّاكي وما بك داءٌ** |  | **كُنْ جميلاً ترَ الوجودَ جميلاً([[243]](#footnote-244))** |

ويرى الرافعي بأنّ فهم الجمال الحقيقي يتحدد بأوقات معينة ترتبط بجمال الطبيعة، فالليلُ والفجر والشفق والأصيل، هي أوقات الجمال في النفس([[244]](#footnote-245)).

يبحث الرافعي عن جمال الطبيعة الروحي والمعنوي من خلال التأمل في جمالها الذي خلقه سبحانه وتعالى، فالطبيعة في نظره مقدسة وكانت توحي إليه بقطعة من مناجاة الأنبياء([[245]](#footnote-246)). ولعله يُجسد مثل هذا الفهم في قوله:

((وبالربيعين الأخضر، والأزرق ينفتح بابان للعالم السحري العجيب، عالم الجمال الأرضيِّ، الذي تدخله الروح الإنسانية، كما يدخل القلب المُحب في شعاع ابتسامةٍ، ومعناها))([[246]](#footnote-247)).

ويتأمل الرافعي القمر، فيرى فيه حقيقة الطبيعة، كونه وجه الحب والجمال، فيقول: ((أيها القمر! كن لهم ما وصفوك، حتى إذا كفر بالله ملحد ألقمهُ الله منك (حجراً) وكنت للطبيعة وجه الحقيقة والإيمان كما أنت وجه الحب والجمال))([[247]](#footnote-248)).

ويرى الرافعي أن الشمس حين تشرق تحمل في طياتها جمالاً معنوياً، يستحق الوقوف عنده والتفكر فيه، كونه يجدد جمال النفس، فنجده يقول:

((الشمسُ هنا جديدةٌ، تثبت: أنَّ الجديدَ في الطبيعة هو الجديد في كيفية شعور النفسَ به))([[248]](#footnote-249)).

ويرى الرافعي أن البحر فكر الطبيعة، كونه عندما يشاهده يتذكر الموت من خلال أمواجه المتدحرجة على ساحل البحر لتختطف كل من شاهدها([[249]](#footnote-250)). وهو يرى أنَّ للطبيعة قلباً حانياً تستميله لمسة بسيطة من الوصال، فيقول: ((إذا كنت في أيام الطبيعة فاجعل فكرك خالياً، وفرِّغه للنبت، والشجر، والحجر، والمدَر، والطير، والحيوان، والزهر، والعُشب، والماء، والسماء، ونور النهار، وظلام الليل، حينئذ يفتح لك العالم بابه، ويقول: أدخل...))([[250]](#footnote-251)).

ولرهافة حسه يكتشف أنَّ لغة الاتصال بالطبيعة سهل تعلمها وأنها ليست معقدة، إنها نظرة لا غير, يقول في هذا: ((إذا أردت أيها الإنسان أن ترى جمال شيء في الطبيعة فاجعل عينيك أقرب إليه من فكرك، بل أنزع فكرك هذا، إلا الخفيف منه))([[251]](#footnote-252)).

لذا يكثر من النظر إلى الطبيعة بعينه لمعرفة أسرار جمالها، فيقول: ((أنظر كيف يجعلُ في الأرض معنى السرور، وفي الجو معنى السعادة.وأنظر إلى الحشرة الصغيرة كيف تؤمن بالحياة؛ التي تملؤها، وتطمئن. أنظر.... أنظر! أليس كُلُّ ذلك رداً على اليأس بكلمة: لا...؟))([[252]](#footnote-253)).

والرافعي هنا يدعونا إلى أن نتذكر قوله تعالى: **ﭽ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄﭼ([[253]](#footnote-254)).**

ولم يكتف الرافعي بحسب رأي الأستاذ مصطفى الجوزو([[254]](#footnote-255)) بإحلال العين محل الفكر في النظر إلى الطبيعة، بل ينبغي أن تكون هذه العين هي عين العشق التي تعامل الطبيعة معاملة الكائن الحي، الذي يُحيي ويكون على الناظر إليه رد التحية بابتسام وإشراق، حتى كأنَّ الناظر إنسان لا يحزن ولا يألم([[255]](#footnote-256)).

ويُقارن الرافعي بين الرجل من علماء الفلك وعالم الجمال الطبيعي، فعالم الفلك يكتشف أسرار الكون والسماء وآثار الله، بالنظر إليها، أما عالم الجمال الطبيعي الذي تهبه الطبيعة حاسة سادسة من الابتسام، فيعيش في ربيع دائم([[256]](#footnote-257)).

فهو في نظر الرافعي العاشق الذي يُسلم أمره لله تعالى طائعاً منقاداً له ويتوكل عليه، فيمنحه قوة من السماء، فكأنَّ نظرته آتية من السماء لما فيها من سلطان ونقاء نفس وصفاء عين. فالطبيعة في نظره ((تشكو عمى الناس عن جمالها حتى تأنس في أحدهم عيناً من عيون الجمال))([[257]](#footnote-258)). ينظر الرافعي إلى الطبيعة بعين العاشق المبتسم المطمئن نظرة مباشرة خالية من الهموم والأوهام، فتظهر الطبيعة عنده بصورة امرأة عاشقة، فيقول:

((وكنا في يوم من أيام الربيع وكل شيء حولنا يتكلم بلغة الشّمس في لمعة وضوء وجمال، وفي الأزهار معانيها الغزلية التي بها وحدها تظهر الطبيعة في رقة امرأة عاشقة))([[258]](#footnote-259)).

وينظر إلى الذي لا يرزق فكر العاشق، ولا ينظر إلى الطبيعة نظرة العاشق يقول عنه الرافعي: ((لم يرَ أشياء الطبيعة إلا في أسمائها وشياتها، دون حقائقها ومعانيها: كالرَّجل إذا لم يعشق؛ رأى النِّساء كلهنَّ سواء، فإذا عشق؛ رأى فيهنَّ نساء غيرَ من عرف، وأصبحنَ عنده أدلةً على صفات الجمال؛ الذي في قلبه))([[259]](#footnote-260)).

ويقارن الرافعي بنظرة العاشق بين المرأة والطبيعة بمثالٍ رآه في الأشجار، فينزلها من نفسه منزلة الحب، لأنَّ فيها شيئاً من دلال النساء الخفرات([[260]](#footnote-261)). وهذه الشجرات يرى فيها الرافعي صور الحُب والجمال، فنجده يقول: ((يا شجراتي! ما أنتن إلا من بعض صور الحب، ولكن حبكن من النعمة والعافية، إذ لا تنتهي في النفس معاني شهواتها، بل معاني لذاتها فقط. أنتن المثل الهنيء الذي لا بؤس فيه ولاحظ، كالمعبد الذي تحمل إليه الآلام والأوجاع لتنسى فيه هنيهة من الزمن))([[261]](#footnote-262)).

فالطبيعة بنظره كالمعبد المقدس، يقارن تأملها بإرادة الصلاة في المسجد واطراح الهموم عند الوقوف بين يدي الله. وهذه الشجرات لا يتقلبن بسبب الملك والكذب والخيانة، بل تحتفي بالرافعي وتتحبب إليه وتغازله وتبادله الحب بحب، فيشعر بالسمو كأنه تحت أجنحة الملائكة([[262]](#footnote-263)).

وتلك الشجرات يرى فيها نساء حبيبات، يتَصِفْنبجمال معنوي خالد، فهو يشاركها آلامه وأحزانه وأفراحه، ويصف من خلالها حاله وما آل إليه من المحبة والعشق، إذ يقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **لهفي لأشجار المحبة** |  | **مر فصل ربيعها** |
| **جد الهوى في عرسها** |  | **ليجد في تقطعيها...!** |
| **كل الفتوق لها الرقاع** |  | **ترم من تصديعها** |
| **وإذا تمزقت المحبة** |  | **حرتُ في ترقيعها...!** ([[263]](#footnote-264)) |

فالطبيعة عند الرافعي مثال أعلى للمرأة وتعويض منها، فالرجل لا يدرك جمالها إلا إذا نظر إليها نظرة العاشق.

والحب وسيلة لإبصار جمال الطبيعة ولإدراكه واتساع آفاقه في النفس، ذلك أنّ الحُب محرض على التصاعد نحو الجمال الأمثل، ومن هنا فإن النظر الإنساني لا يمكن أن يعلو أو يتسامى إلا إذا أُلبس معناه الإلهي([[264]](#footnote-265)).

وبذلك ينتقل الرافعي في مفهومه للجمال الروحي للطبيعة من الحسية إلى المثالية، وهذا جعله يرى الحب طريقاً لفهم الطبيعة وخيالاتها وإخراجاً للنور الإلهي الخلاّق في نفس الإنسان وتوسيعاً لجمال النفس العاشقة.

وجدنا ذلك المفهوم في أدبه الزاخر بتلك المعاني الجميلة، إذ يقول: ((ويقبل العُشاق وهم ملائكة الناس على الفكر والنجوى، ويقبل الشعراء من وراء أولئك جميعاً فينظمون الشعر الإلهي الذي تمتزج فيه ألحان الملائكة بأنغام الطيور وآهات العُشاق، فيمتلئ من أسرار الفكر والعاطفة والقلب ويخرج ويكاد يخلق منه العقل وترى فيه الروح باباً من أبواب السماء كأنّه الطهارة، وكنّاً من أكنان الطبيعة كأنّه القناعة))([[265]](#footnote-266)).

فتصوير الحب الصحيح في قلب الإنسان هو حاجة الطبيعة الوحيدة إلى التصوير([[266]](#footnote-267)). والرافعي يسمى الطبيعة بـ "الحياة المعذبة"، لأنّ الناس قد درجوا على ألاّ يعرفوا الحقيقة إلا بأوصافها، كونهم يبحثون عن باطن الحقيقة لهذه الطبيعة وسرها المحزن، وهذا لا يعرفه إلا من يفهم لغة الطبيعة، وما لغتها إلا أفعالها([[267]](#footnote-268)).

ومن هنا فإنّ الطبيعة برأيه فكر إلهي والجمال جاذبية سماوية ولغة الحب وحي سماوي والحبيبة تمثال الفن الإلهي الخالد، وكل لفظة من لغة الطبيعة في تفسير معنى الحب كأنها صلصلة الملك الذي يفجأ الأنبياء بالوحي.

والطبيعة نفسها تُهيئ الإنسان للدين بأسلوب غريب، ومن ثم يصلنا العشق من جمال الحبيب بجمال الكون، وعلى أثره سوف تَمرُ النفس بمراحل في سبحات اللذة الروحية، من الجميل، إلى الجمال، إلى الطبيعة، إلى الله جل جلاله([[268]](#footnote-269)).

وبالجمال الروحي للطبيعة ينظر الإنسان لها نظرة أخرى، فيرى الألوهية تظهر على وجه القمر كما تظهر على وجه الحسناء، فيقول:

((في البدر ظهرت كلمة الألوهية "أنا وحدي"

في وجه الحسناء تقرأ كلمة الألوهية "أنا وحدي".

فهل يمكن أن تقع الدميمة من الحسناء أقبح ما يقع ظلام القمر من نوره، فلا تكون في وجهها هي أيضاً كلمة الألوهية "أنا وحدي"؟))([[269]](#footnote-270)).

وعموماً أرى أنّ الرافعي تناول في حديثه الطبيعة بأسلوب الشعور بجمالها لا حقيقتها، فأراد أن يعطي للإنسانية درساً في التمتع بالجمال أكثر منه درساً في الفلسفة الطبيعية، واستطاع أن يعقد صلة بحديثه عنها بين الجمال والخير والحب.

1. **() ينظر: الإمام مصطفى صادق الرافعي، مصطفى نعمان البدري، مطبعة دار البصري-بغداد، 1968م: 9.** [↑](#footnote-ref-2)
2. **()ينظر: الرافعي كاتباً عربياً ومفكراً إسلامياً، د. مصطفى الشكعة، ط3، عالم الكتب- مصر، 1983م: 22.** [↑](#footnote-ref-3)
3. **()وحي القلم:1/60.** [↑](#footnote-ref-4)
4. **()يرجع نسبه إلى الخليفة عمر بن الخطاب ()، ينظر: الإمام الرافعي، للبدري: 219.** [↑](#footnote-ref-5)
5. **()ينظر: الإمام الرافعي: 283.** [↑](#footnote-ref-6)
6. **()وحي القلم: 3/783.** [↑](#footnote-ref-7)
7. **()المصدرنفسه:1/ 25.** [↑](#footnote-ref-8)
8. **()ينظر: الرافعي كاتباً عربياً ومفكراً إسلامياً: 22.** [↑](#footnote-ref-9)
9. **()ينظر: المصدر نفسه: 20، وينظر الإمام الرافعي: 122-124.** [↑](#footnote-ref-10)
10. **()رسائل الأحزان: 58.** [↑](#footnote-ref-11)
11. **()ينظر: حياة الرافعي، محمد سعيد العريان، ط8، مطبعة الاستقامة- القاهرة، 1375هـ- 1955م:98.** [↑](#footnote-ref-12)
12. **()ينظر: المصدر نفسه: 97.** [↑](#footnote-ref-13)
13. **()وحي القلم: 987.** [↑](#footnote-ref-14)
14. **()ديوان الرافعي، شرحه محمد كامل الرافعي، طبع بمطبعة الجامعة بالإسكندرية، 1322هـ- 1901م: 67.** [↑](#footnote-ref-15)
15. **()ينظر: العريان: 97، وينظر: الإمام الرافعي للبدري: 209.** [↑](#footnote-ref-16)
16. **()أوراق الورد: 370.** [↑](#footnote-ref-17)
17. **()رسائل الأحزان: 140.** [↑](#footnote-ref-18)
18. **()المصدر نفسه: 63.** [↑](#footnote-ref-19)
19. **()ديوان الرافعي: 1/67.** [↑](#footnote-ref-20)
20. **()ينظر: هذه الشجرة: 119.** [↑](#footnote-ref-21)
21. **()ينظر: الزمن عند الشعراء قبل الإسلام، عبد الإله الصائغ، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، 1982م: 207.** [↑](#footnote-ref-22)
22. **()ينظر: جمال المرأة عند العرب: 7.** [↑](#footnote-ref-23)
23. **()ينظر: الأسس الجمالية في النقد العربي، د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي- القاهرة، 1421هـ- 2000م: 111.** [↑](#footnote-ref-24)
24. **()ديوان الرافعي: 1/47.** [↑](#footnote-ref-25)
25. **()الديوان : 1/75.** [↑](#footnote-ref-26)
26. **()حديث القمر: 17.** [↑](#footnote-ref-27)
27. **()الديوان: 1/76.** [↑](#footnote-ref-28)
28. **()المصدر نفسه: 1/92.** [↑](#footnote-ref-29)
29. **()ينظر: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الأصبهاني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، (د.ت): م2- 3/310.** [↑](#footnote-ref-30)
30. **()ديوان الرافعي: 1/105.** [↑](#footnote-ref-31)
31. **()ديوان عمر ابن أبي ربيعة: 135.**  [↑](#footnote-ref-32)
32. **()حديث القمر: 101.** [↑](#footnote-ref-33)
33. **()كتاب المساكين، مصطفى صادق الرافعي، ط9، دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان، 1393هـ- 1973م: 160.** [↑](#footnote-ref-34)
34. **()ديوان الرافعي: 1/107.** [↑](#footnote-ref-35)
35. **()ديوان العرجي، رواية أبي الفتح عثمان بن جني ت (392هـ)، شرحه وحققه خضر الطائي ورشيد العبيدي، الشركة الإسلامية للطباعة- بغداد، 1375هـ- 1965م: 149.** [↑](#footnote-ref-36)
36. **()رسائل الأحزان: 87.** [↑](#footnote-ref-37)
37. **()ينظر: فن الوصف وتطوره في الشعر العراقي الحديث، د. محمد حسن الحلي، دار الشؤون الثقافية- بغداد- 1988م: 193.** [↑](#footnote-ref-38)
38. **()ينظر:نفسه.** [↑](#footnote-ref-39)
39. **()رسائل الأحزان: 65.** [↑](#footnote-ref-40)
40. **()المصدر نفسه : 79.** [↑](#footnote-ref-41)
41. **() حديث القمر: 67.** [↑](#footnote-ref-42)
42. **()ينظر: رسائل الأحزان: 125.** [↑](#footnote-ref-43)
43. **()ينظر: جمال المرأة عند العرب: 62.** [↑](#footnote-ref-44)
44. **()الساحران هما هاروت وماروت وقصتهما معروفة.** [↑](#footnote-ref-45)
45. **()ديوان الرافعي: 1/76.** [↑](#footnote-ref-46)
46. **()الديوان: 1/93.** [↑](#footnote-ref-47)
47. **()المصدر نفسه: 1/107.** [↑](#footnote-ref-48)
48. **()أوراق الورد: 56.** [↑](#footnote-ref-49)
49. **()ينظر: الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الحديث – القاهرة ، 1423هـ ، 2002م :5/427.** [↑](#footnote-ref-50)
50. **()ينظر: فقه اللغة، لأبي منصور الثعالبي، تحقيق د. جمال طلبة، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، 1422هـ- 2001م: 135.** [↑](#footnote-ref-51)
51. **()ديوان الرافعي: 2/80.** [↑](#footnote-ref-52)
52. **()رسائل الأحزان: 65.** [↑](#footnote-ref-53)
53. **()المصدر نفسه: 169.** [↑](#footnote-ref-54)
54. **()أوراق الورد: 56.** [↑](#footnote-ref-55)
55. **()ديوان الرافعي: 1/106.** [↑](#footnote-ref-56)
56. **()ديوان الرافعي: 1/75.** [↑](#footnote-ref-57)
57. **()حديث القمر: 102.** [↑](#footnote-ref-58)
58. **()المصدر نفسه: 102.** [↑](#footnote-ref-59)
59. **()أوراق الورد: 57.** [↑](#footnote-ref-60)
60. **()أوراق الورد: 58.** [↑](#footnote-ref-61)
61. **()المصدر نفسه: 58.** [↑](#footnote-ref-62)
62. **()هذا تعبير عربي بديع، ويقصد به لما التقتا ووجدت كل عين في الأخرى جمالها وقوتها وزينتها.** [↑](#footnote-ref-63)
63. **()أوراق الورد: 75.** [↑](#footnote-ref-64)
64. **()البيان والتبيين، عمرو ابو عثمان الجاحظ ، دار ومكتبة الهلال – بيروت 1423 هـ - 2002م : 36.** [↑](#footnote-ref-65)
65. **()ينظر: هذه الشجرة: 109.** [↑](#footnote-ref-66)
66. **()ديوان الرافعي: 1/78.** [↑](#footnote-ref-67)
67. **()ينظر: جمال المرأة عند العرب: 65.** [↑](#footnote-ref-68)
68. **()ينظر: الجمال كما يراه الفلاسفة والأدباء: 218.** [↑](#footnote-ref-69)
69. **()ديوان الرافعي: 1/107.** [↑](#footnote-ref-70)
70. **()ديوان العرجي: 182.** [↑](#footnote-ref-71)
71. **()ينظر: المخصص لابن سيدة، تحقيق خليل ابراهيم جفال ، ط1 ، دار احياء التراث العربي – بيروت 1417هـ - 1996م : 1/91.** [↑](#footnote-ref-72)
72. **()حديث القمر: 102.** [↑](#footnote-ref-73)
73. **() المساكين: 157.** [↑](#footnote-ref-74)
74. **() حديث القمر : 102.** [↑](#footnote-ref-75)
75. **()حديث القمر: 102-103.** [↑](#footnote-ref-76)
76. **()ديوان الرافعي: 1/82.** [↑](#footnote-ref-77)
77. **()محاضرات الأدباء: م2- 3/310.** [↑](#footnote-ref-78)
78. **(ديوان الرافعي 3/310.** [↑](#footnote-ref-79)
79. **():الديوان 1/106.** [↑](#footnote-ref-80)
80. **()المصدر نفسه: 1/92.** [↑](#footnote-ref-81)
81. **()رسائل الأحزان: 59.** [↑](#footnote-ref-82)
82. **()ينظر: جمال المرأة عند العرب: 60.** [↑](#footnote-ref-83)
83. **()أنظر: ديوان عمر بن أبي ربيعة: 473.** [↑](#footnote-ref-84)
84. **()ديوان الرافعي: 1/101.** [↑](#footnote-ref-85)
85. **()الديوان: 1/102.** [↑](#footnote-ref-86)
86. **()نفسه: 1/76.** [↑](#footnote-ref-87)
87. **()ينظر أوراق الورد: 32.** [↑](#footnote-ref-88)
88. **()أوراق الورد: 32.** [↑](#footnote-ref-89)
89. **()ينظر: رسائل الأحزان: 136.** [↑](#footnote-ref-90)
90. **()المصدر نفسه: 138.** [↑](#footnote-ref-91)
91. **()ينظر حديث القمر: 68.** [↑](#footnote-ref-92)
92. **()المصدر نفسه: 76.** [↑](#footnote-ref-93)
93. **()كتاب الموسيقى الكبير، للفارابي، تحقيق غطاس عبد الملك خشبة والدكتور محمد الحنفي، القاهرة (د. ت): 127.** [↑](#footnote-ref-94)
94. **()ينظر: قضايا النقد الأدبي بين القديم والجديد، محمد زكي العشماوي، دار النهضة- بيروت، 1979: 56.** [↑](#footnote-ref-95)
95. **()حديث القمر:7.** [↑](#footnote-ref-96)
96. **()المصدر نفسه: 99.** [↑](#footnote-ref-97)
97. **()ديوان الرافعي: 1/59.** [↑](#footnote-ref-98)
98. **()ينظر: الأدب وفنونه، د. عز الدين إسماعيل، ط8، دار الفكر العربي- القاهرة، 1977: 105.** [↑](#footnote-ref-99)
99. **()أوراق الورد: 51.** [↑](#footnote-ref-100)
100. **()ينظر: في الأدب الأندلسي، د. جودت الركابي، ط2، دار المعارف بمصر، 1966م: 124.** [↑](#footnote-ref-101)
101. **()أوراق الورد: 51.** [↑](#footnote-ref-102)
102. **()ينظر: وحي القلم:68.** [↑](#footnote-ref-103)
103. **()أوراق الورد: 52.** [↑](#footnote-ref-104)
104. **()نفسه: 52.** [↑](#footnote-ref-105)
105. **()ديوان ابن خفاجة، تحقيق الدكتور السيد مصطفى غازي، دار المعارف بمصر-الإسكندرية، 1960م: 130.**  [↑](#footnote-ref-106)
106. **()حديث القمر: 80-81.** [↑](#footnote-ref-107)
107. **()أوراق الورد: 54.** [↑](#footnote-ref-108)
108. **()العَسجد: قيل هو الذهب، وقيل هو اسم جامع للجوهري كله من الدر والياقوت، ينظر لسان العرب : مادة ( عسجد) .** [↑](#footnote-ref-109)
109. **()ديوان الرافعي: 1/50.** [↑](#footnote-ref-110)
110. **()وحي القلم: 1/65.** [↑](#footnote-ref-111)
111. **()أوراق الورد: 201-202.** [↑](#footnote-ref-112)
112. **()ديوان ابن خفاجة: 138.** [↑](#footnote-ref-113)
113. **()وحي القلم: 61.** [↑](#footnote-ref-114)
114. **()ينظر فلسفة الجمال، لجاريت، ترجمة عبد الحميد يونس وآخرين ، دار الفكر العربي – بيروت – لبنان ( د.ت) : 77.** [↑](#footnote-ref-115)
115. **()أوراق الورد: 202.** [↑](#footnote-ref-116)
116. **()وحي القلم: 63.** [↑](#footnote-ref-117)
117. **()أوراق الورد: 203.** [↑](#footnote-ref-118)
118. **()أوراق الورد: 203.** [↑](#footnote-ref-119)
119. **()وحي القلم: 53.** [↑](#footnote-ref-120)
120. **()أوراق الورد: 204.** [↑](#footnote-ref-121)
121. **()ديوان ابن خفاجة: 137.** [↑](#footnote-ref-122)
122. **()ينظر: في الأدب الأندلسي: 110.** [↑](#footnote-ref-123)
123. **()تهاويل: زينة. مفردها: تهويل.** [↑](#footnote-ref-124)
124. **()وحي القلم:1/54.** [↑](#footnote-ref-125)
125. **()المصدر نفسه:1/54.** [↑](#footnote-ref-126)
126. **()ينظر:وحي القلم1/ 55.** [↑](#footnote-ref-127)
127. **()ينظر الجمال كما يراه الفلاسفة والأدباء: 285.** [↑](#footnote-ref-128)
128. **()رسائل الأحزان: 82.** [↑](#footnote-ref-129)
129. **(رسائل الاحزان: 83.** [↑](#footnote-ref-130)
130. **()ينظر: المرأة بين الدين والمجتمع، د. زيدان عبد الباقي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة- 1977م: 331.** [↑](#footnote-ref-131)
131. **()ينظر: الجمالية،هيكنز، ترجمة د. ثامر مهدي، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد –العراق، (د.ت): 48.** [↑](#footnote-ref-132)
132. **()ينظر: علم الجمال،للديدي : 19-20.** [↑](#footnote-ref-133)
133. **()ينظر حديث القمر: 15-16.** [↑](#footnote-ref-134)
134. **()رسائل الأحزان: 104.** [↑](#footnote-ref-135)
135. **()ينظر: حديث القمر: 76.** [↑](#footnote-ref-136)
136. **()ينظر: الإسلام وتحرير المرأة، غادة الخرسا، تقديم د. عبد الجليل شلبي و د. عبد الله العلايلي، دار السياسة، (د.ت): 13.** [↑](#footnote-ref-137)
137. **()ينظر: رسائل الأحزان: 124.** [↑](#footnote-ref-138)
138. **()رسائل الاحزان: 132.** [↑](#footnote-ref-139)
139. **()ينظر: السحاب الأحمر: 20.** [↑](#footnote-ref-140)
140. **()ينظر: أوراق الورد: 27.** [↑](#footnote-ref-141)
141. **()ينظر: رسائل الأحزان: 126.** [↑](#footnote-ref-142)
142. **()ينظر: حديث القمر: 29.** [↑](#footnote-ref-143)
143. **()النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال: 295.** [↑](#footnote-ref-144)
144. **()ينظر: حديث القمر: 26-29.** [↑](#footnote-ref-145)
145. **()ينظر: المعجم الأدبي، جبور عبد النور، ط1، بيروت، 1979م: 84.** [↑](#footnote-ref-146)
146. **()ينظر: في الأدب ومذاهبه، د. علي عبد الخالق علي دومة، ط1، دار قطري بن الفجاءة-الدوحة- قطر، 1410هـ- 1990م: 199.** [↑](#footnote-ref-147)
147. **()ينظر: في الأدب وفنونه، د. محمد مندور، دار نهضة مصر- القاهرة، (د.ت): 48-50.** [↑](#footnote-ref-148)
148. **()ينظر:في الأدب ومذاهبه: 200.** [↑](#footnote-ref-149)
149. **()ينظر: رسائل الأحزان: 126-127.** [↑](#footnote-ref-150)
150. **()ينظر: حديث القمر: 28-29.** [↑](#footnote-ref-151)
151. **()ينظر: أوراق الورد: 27.** [↑](#footnote-ref-152)
152. **()ينظر: الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد، مصطفى نعمان البدري، رسالة دكتوراه، مكتوبة على الآلة الطابعة، دار العلوم- القاهرة، 1979: 318.** [↑](#footnote-ref-153)
153. **()السحاب الأحمر، مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان,1427ه-2006م :21.** [↑](#footnote-ref-154)
154. **()ينظر: الرافعي ،للشكعة: 26.** [↑](#footnote-ref-155)
155. **()المصدر نفسه: 12.** [↑](#footnote-ref-156)
156. **()ينظر: رسائل الأحزان: 116.** [↑](#footnote-ref-157)
157. **()ينظر:المصدر نفسه: 97.** [↑](#footnote-ref-158)
158. **()ينظر: أوراق الورد: 25-28.** [↑](#footnote-ref-159)
159. **()ينظر السحاب الأحمر: 32-35.** [↑](#footnote-ref-160)
160. **()المصدر السابق: 230.** [↑](#footnote-ref-161)
161. **()أوراق الورد: 230.** [↑](#footnote-ref-162)
162. **()السحاب الأحمر: 68-69.** [↑](#footnote-ref-163)
163. **()ينظر:رسائل الأحزان: 55.** [↑](#footnote-ref-164)
164. **()المصدر نفسه: 56.** [↑](#footnote-ref-165)
165. **()ينظر: حياة الرافعي: 27.** [↑](#footnote-ref-166)
166. **()ينظر: مصطفى صادق الرافعي رائد الرمزية العربية المطلة على السوريالية، د. مصطفى الجوزو، ط1، دار الأندلس- بيروت، لبنان، 1405هـ- 1985م: 128.** [↑](#footnote-ref-167)
167. **()حديث القمر: 15.** [↑](#footnote-ref-168)
168. **()المصدر نفسه: 29.** [↑](#footnote-ref-169)
169. **()أوراق الورد: 30.** [↑](#footnote-ref-170)
170. **()المصدر نفسه: 31.** [↑](#footnote-ref-171)
171. **()ينظر حديث القمر: 126.** [↑](#footnote-ref-172)
172. **()ينظر: الأسس الجمالية في النقد العربي: 171.** [↑](#footnote-ref-173)
173. **()الديوان: 2/79.** [↑](#footnote-ref-174)
174. **()المصدر نفسه: 1/101.** [↑](#footnote-ref-175)
175. **()أوراق الورد: 10.** [↑](#footnote-ref-176)
176. **()رسائل الأحزان: 70-71.** [↑](#footnote-ref-177)
177. **()ينظر المصدر نفسه: 89.** [↑](#footnote-ref-178)
178. **()ينظر الرافعي ومي، عبد السلام هاشم حافظ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (د.ت): 79-80.** [↑](#footnote-ref-179)
179. **()رسائل الأحزان: 123.** [↑](#footnote-ref-180)
180. **()ينظر:الرافعي ومي 81.** [↑](#footnote-ref-181)
181. **()ينظر: أوراق الورد: 36.** [↑](#footnote-ref-182)
182. **()ينظر: حياة الرافعي، للعريان: 99.** [↑](#footnote-ref-183)
183. **()ينظر المصدر نفسه: 100-101.** [↑](#footnote-ref-184)
184. **()رسائل الأحزان: 63.** [↑](#footnote-ref-185)
185. **()ينظر حياة الرافعي، للعريان: 108.** [↑](#footnote-ref-186)
186. **()ينظر: أوراق الورد: 196.** [↑](#footnote-ref-187)
187. **()ينظر: السحاب الأحمر: 32-33، وينظر حديث القمر: 64.** [↑](#footnote-ref-188)
188. **()ينظر: أوراق الورد: 182.** [↑](#footnote-ref-189)
189. **()المصدر نفسه: 151.** [↑](#footnote-ref-190)
190. **()ينظر حديث القمر: 14-15.** [↑](#footnote-ref-191)
191. **()وحي القلم: 3/895.**  [↑](#footnote-ref-192)
192. **()ينظر: أوراق الورد: 196.** [↑](#footnote-ref-193)
193. **()ينظر: وحي القلم: 3/773-775.** [↑](#footnote-ref-194)
194. **()ينظر: وحي القلم: 1/33.** [↑](#footnote-ref-195)
195. **()ينظر: رسائل الأحزان: 139.** [↑](#footnote-ref-196)
196. **()ينظر: وحي القلم: 3/884.** [↑](#footnote-ref-197)
197. **()ينظر: المصدر نفسه: 2/514.** [↑](#footnote-ref-198)
198. **()ينظر: الرافعي، للجوزو: 129.** [↑](#footnote-ref-199)
199. **()ينظر: حياة الرافعي، للعريان: 25-26.** [↑](#footnote-ref-200)
200. **()المصدر نفسه: 26.** [↑](#footnote-ref-201)
201. **()شرح ديوان ابن الفارض، الشيخ بدر الدين البور يني، والشيخ عبد الغني النابلسي، جمعه رشيد غالب اللبناني، تحقيق محمد عبد الكريم النمري، بيروت، 2007م: 352.** [↑](#footnote-ref-202)
202. **()ينظر: حديث القمر: 126.** [↑](#footnote-ref-203)
203. **()ينظر: عمالقة عند مطلع القرن، د.عبد العزيز المقالح، ط2، منشورات دار الآداب- بيروت، 1988م: 147-148.** [↑](#footnote-ref-204)
204. **()ينظر: السحاب الأحمر: 22.** [↑](#footnote-ref-205)
205. **()المصدر نفسه: 22.** [↑](#footnote-ref-206)
206. **()ينظر: الرافعي، للجوزو: 146.** [↑](#footnote-ref-207)
207. **()السفع: سواد مشرب بحمرة، والمراد به هنا فساد لون الوجه وقبحه وبشاعته.** [↑](#footnote-ref-208)
208. **()السحاب الأحمر: 64-65. وينظر: المساكين: 235.** [↑](#footnote-ref-209)
209. **()ينظر:السحاب الاحمر: 65.** [↑](#footnote-ref-210)
210. **()ينظر: السحاب الأحمر: 62، وينظر: المساكين: 236.** [↑](#footnote-ref-211)
211. **()وحي القلم، الطائشة (2): 1/197.** [↑](#footnote-ref-212)
212. **()وحي القلم: الطائشة-186.** [↑](#footnote-ref-213)
213. **()ينظر: مصطفى صادق الرافعي والاتجاهات الإسلامية في أدبه، د. علي عبد الحليم محمود، ط2، عكاظ للنشر والتوزيع- الرياض- المملكة العربية السعودية، 1402هـ- 1982م: 32-36.** [↑](#footnote-ref-214)
214. **()وحي القلم: 1/210.** [↑](#footnote-ref-215)
215. **()وحي القلم: 1/189.** [↑](#footnote-ref-216)
216. **()ينظر: أضواء على الطريق، محمد فتح الله كولن، ترجمة أورخان محمد علي، ط1، دار النيل للطباعة والنشر، 1422هـ- 2002م: 233.** [↑](#footnote-ref-217)
217. **()وحي القلم: 1/224-223.** [↑](#footnote-ref-218)
218. **()المصدر نفسه: 1/139.** [↑](#footnote-ref-219)
219. **()ديوان الرافعي: 2/48.** [↑](#footnote-ref-220)
220. **()ينظر: وحي القلم: 1/309.** [↑](#footnote-ref-221)
221. **()المصدر نفسه: 1/310.** [↑](#footnote-ref-222)
222. **()ينظر:المصدر نفسه 1/315.** [↑](#footnote-ref-223)
223. **()الربيطة: هي المرأة البغي تربط بأجر أو عقد مدني، ساقطة المعنى شريفة الاسم، ينظر: السحاب الأحمر: 36.**  [↑](#footnote-ref-224)
224. **()ينظر: السحاب الأحمر: 46.** [↑](#footnote-ref-225)
225. **()وحي القلم: 1/316.** [↑](#footnote-ref-226)
226. **()ينظر: الرافعي، للشكعة: 21-22.** [↑](#footnote-ref-227)
227. **()أغاريد الرافعي دراسة وتدوين، مصطفى نعمان البدري، دار الحرية للطباعة- بغداد- الجمهورية العراقية- وزارة الثقافة والإعلام، 1980م: 55.** [↑](#footnote-ref-228)
228. **() ينظر: مجلة الادب الاسلامي العدد (4) ، الطفولة والاسرة في حياة الرافعي ، د. محمد ابو بكر حميد 1415هـ -1994م : 62-64.** [↑](#footnote-ref-229)
229. **()المصدر نفسه : 55.** [↑](#footnote-ref-230)
230. **()أغاريد الرافعي: 58.** [↑](#footnote-ref-231)
231. **() ينظر : المصدر نفسه : 58 .** [↑](#footnote-ref-232)
232. **()المصدر نفسه: 59.** [↑](#footnote-ref-233)
233. **()الديوان: 1/27.** [↑](#footnote-ref-234)
234. **()وحي القلم: 3/174.** [↑](#footnote-ref-235)
235. **()المصدر نفسه: 3/931.** [↑](#footnote-ref-236)
236. **()المصدر نفسه: 2/372.** [↑](#footnote-ref-237)
237. **()ينظر: حديث القمر: 66.** [↑](#footnote-ref-238)
238. **()ينظر: أوراق الورد: 177.** [↑](#footnote-ref-239)
239. **()ينظر: رسائل الأحزان: 97.** [↑](#footnote-ref-240)
240. **()ينظر: حديث القمر: 76.** [↑](#footnote-ref-241)
241. **()ينظر: وحي القلم: 1/65.** [↑](#footnote-ref-242)
242. **()وحي القلم :1/65-66.** [↑](#footnote-ref-243)
243. **()ديوان إيليا أبو ماضي، شرح وتقديم د. صلاح الدين الهواري ط1، دار ومكتبة الهلال- بيروت، 2006م: 414.** [↑](#footnote-ref-244)
244. **()ينظر: أوراق الورد: 198.** [↑](#footnote-ref-245)
245. **()ينظر: حديث القمر: 7.** [↑](#footnote-ref-246)
246. **()وحي القلم: 1/61.** [↑](#footnote-ref-247)
247. **()حديث القمر: 64.** [↑](#footnote-ref-248)
248. **()وحي القلم: 1/62.** [↑](#footnote-ref-249)
249. **()ينظر: حديث القمرِ69-70.** [↑](#footnote-ref-250)
250. **()المصدر السابق:1/ 66-67.** [↑](#footnote-ref-251)
251. **()حديث القمر: 70.** [↑](#footnote-ref-252)
252. **()وحي القلم:1/ 56.** [↑](#footnote-ref-253)
253. **()سورة الروم: آية 50.** [↑](#footnote-ref-254)
254. **()ينظر: الرافعي، لمصطفى الجوزو: 156.** [↑](#footnote-ref-255)
255. **()ينظر: حديث القمر: 70-71.** [↑](#footnote-ref-256)
256. **()ينظر: المصدر نفسه: 72.** [↑](#footnote-ref-257)
257. **()المصدر نفسه:73.** [↑](#footnote-ref-258)
258. **()اوراق الورد:179.** [↑](#footnote-ref-259)
259. **()وحي القلم:1/68 .** [↑](#footnote-ref-260)
260. **()ينظر:أوراق الورد : 159.**  [↑](#footnote-ref-261)
261. **()المصدر نفسه: 156.** [↑](#footnote-ref-262)
262. **()ينظر: المصدر نفسه:152.** [↑](#footnote-ref-263)
263. **()أوراق الورد:152.** [↑](#footnote-ref-264)
264. **()ينظر: المصدر نفسه : 106.** [↑](#footnote-ref-265)
265. **()حديث القمر: 44.** [↑](#footnote-ref-266)
266. **()ينظر: الرافعي للجوزو : 120.** [↑](#footnote-ref-267)
267. **()ينظر: حديث القمر: 14.** [↑](#footnote-ref-268)
268. **()ينظر: أوراق الورد: 81.** [↑](#footnote-ref-269)
269. **()السحاب الأحمر: 70.** [↑](#footnote-ref-270)